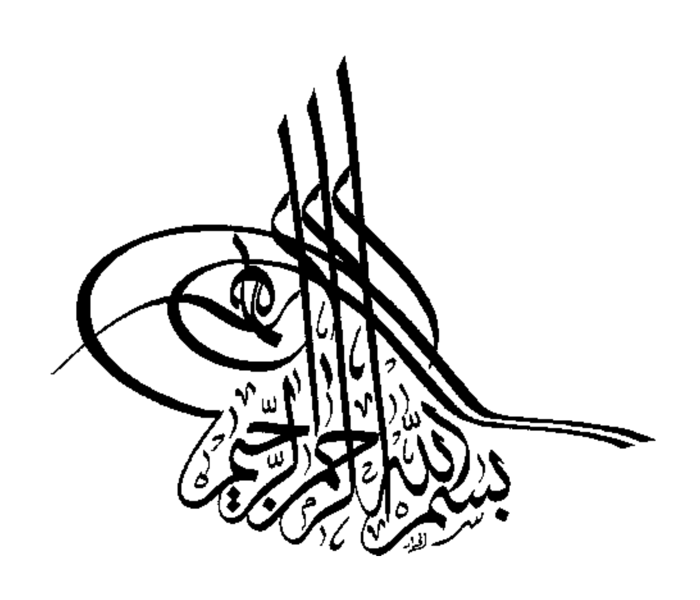

تأملات قرآنية


بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات قرآنية

تأليف

عبد القادر بن محمد العماري



الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية (٢٠١٠/٢٥٥)
الرقم الدولي (ردمك) (٩٩٩٢١/٣٦٠/٧٦٠/٦)

دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع
الدّوحة - قطر
هاتف : ٠٠٩٧٤ ٤٤٤٤٠٤٥٧
فاكس : ٠٠٩٧٤ ٤٤٤٤٠٤٥٨
ص.ب : ١٢٥٩٨

إضاءات

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص].



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان علىٰ سيد ولد عدنان نبينا وحبيبنا محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان.

أما بعد:

أنزل الله ﷻ علىٰ نبيه ورسوله ﷺ كتاباً أعجز به أهل البلاغة البلغاء، وأرباب الفصاحة الفصحاء، تحداهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو حتىٰ بسورة واحدة من مثله فعجزوا. بل لو اجتمعت الإنس والجن علىٰ ذٰلك ما استطاعوا إليه سبيلاً، قال الله سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]. إنه القرآن كلام الرحمٰن، تكلم به الله ﷻ، وسمعه منه جبريل عليه السلام، وأداه إلىٰ النبي ﷺ كما سمعه.

القرآن أبلغ الكتب بياناً، وأحسنها نظاماً، وأفصحها

كلاماً، وأبينها حلالاً وحراماً، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

القرآن فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الجد ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله.

القرآن حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلَق علىٰ كثرة الرد.

القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد كنوزه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم.

أنزله الله موعظة للعالمين، ومحجةً للسالكين، وهدًى للمتقين، وحجةً علىٰ الخلق أجمعين، ومعجزةً باقية لسيد الأولين والآخرين. أعز الله مكانه، ورفع سلطانه، ووزن الناس بميزانه. مَن رفعه رفعه الله به، ومَن وضعه وضعه الله به. فعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهٰذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»[1]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله أهلين من

(١) رواه مسلم برقم (١٩٣٤).

الناس»، فقيل: من أهل الله منهم؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[1].

أنزل الله ﷻ القرآن ليكون نبراساً للمؤمنين، وحكماً للناس أجمعين، أنزله الله ليتدبر ويتأمل في آياته. قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص]. فسعادة البشرية كل البشرية منوطة بالعمل بالقرآن، وكل ما تحتاجه البشرية في سائر شؤون حياتها العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والتربوية والسلوكية وغير ذٰلك فالقرآن تبيان لها، نصًّا أو إشارة، تصريحاً أو تلميحاً، علِمَه من علمه وجهله من جهله. قال الله سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل:٨٩].

فالقرآن هادي البشرية ومرشدها ونور حياتها ودستورها، فواجب العناية به تلاوة وحفظاً، تدبراً وفهماً، علماً وعملاً. قال ابن القيم رحمه الله: ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكر علىٰ معاني آياته، فإنها تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلىٰ طرقاتهما وأسبابهما وثمراتهما ومآل أهلهما[2].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٢٣٠١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢١٦٥).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٥١) بتصرف.

لذٰلك كله، كانت هـٰذه التأملات في بعض الآيات، ومحاولة ربطها بالواقع، مستأنساً في ذٰلك بأقوال العلماء من أهل التفسير وغيرهم، وقد أكتفي أحياناً بكلامهم إذا كان لا يحتاج إلىٰ مزيد بيان، ورتبتها حسب ترتيب سور المصحف. وهـٰذا جهد المُقِل، وتأمل القاصر، والقرآن معين لا ينضب، ومورد لا ينقطع.

أسأل المولىٰ ﷻ أن ينفعنا بهـٰذا الجهد في الدنيا والآخرة، وأن يجعل القرآن حجة لنا لا علينا، وأن يجعله ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، إنه سميع قريب. وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله محمد والحمد لله رب العالمين.

عبد القادر بن محمد العماري

قطر ـ الدوحة: ١٤٣١/٥/١٧هـ
الموافق: ٢٠١٠/٥/١م

سورة البقرة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

جاء في «مذكرات وايزمن» أول رئيس لدولة إسرائيل ورئيس الحركة الصهيونية العالمية: أنه اتفق مع الحكومة البريطانية التي تبنت الحركة الصهيونية علىٰ تسليم فلسطين إلىٰ اليهود خالية من سكانها العرب الذين كانوا يملكون ٩٦ ٪ من الأرض الفلسطينية. وفعلاً سارت سياسة حكومة الانتداب علىٰ تنفيذ الخطة الرامية إلىٰ تصفية عرب فلسطين، ثم صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م بعد أن سيطروا علىٰ أراضي الفلسطينيين، وتعاون الصهاينة مع البريطانيين علىٰ إجلائهم من بلادهم.

والآن يأتي نظام الشرق الأوسط الجديد الذي خططت له أمريكا ومعها دول الغرب حتىٰ لا يكون للعرب والمسلمين مكانة لدولهم وأوطانهم، وأن يكونوا كقلة من الأجانب في الشرق الأوسط الجديد.

والواقع أننا عندما أصبحنا معشر المسلمين في هٰذا الزمان في مرحلة الغثائية كما أخبر رسول الله ﷺ عندما قال: «يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها». قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولٰكن تكونون غثاء كغثاء السيل يَنتزِع المهابةَ من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن». قال: قلنا: وما الوهن؟، قال: «حب الحياة وكراهية الموت»(١).

إن ذٰلك يتمثل الآن في ترك المسلمين الجهاد في سبيل الله. والجهاد يتطلب إعداد القوة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فماذا فعل المسلمون الآن؟ هدم الصهاينة في لبنان وفلسطين البيوت فوق رؤوس ساكنيها من النساء والأطفال والشيوخ، وشاهد ذٰلك العالم كله. فهل تحركت الإنسانية والضمائر؟ وهل توحدت كلمة المسلمين، وأعدوا عدتهم وأظهروا قوتهم أمام الأعداء؟ وهل قررت هيئة الأمم ولجان حقوق الإنسان محاكمة المجرمين؟ لماذا لم يتحرك العرب والمسلمون ويطالبوا ـ علىٰ الأقل ـ

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» عن ثوبان برقم (٢٢٤٥٠)، وحسنه الأرناؤوط، وأبو داود برقم (٤٢٩٩)، بإسناد صححه الألباني. وكذا رواه غيرهما.

بتعويضات علىٰ ما ارتكبته يد هٰؤلاء المجرمين السفاحين؟

المفروض في هٰذا الوقت أن يتحرك المسلمون بجيوشهم من أجل الدفاع عن إخوانهم المسلمين في فلسطين ولبنان. وحتىٰ القوانين الدولية الوضعية ترىٰ أن لصاحب الحق والأرض الدفاع عن حقه في مقاومة المحتل.

ومع الأسف يخرج علينا بوش الابن ويقول: إن إسرائيل تدافع عن نفسها! مع أنها هي المعتدية وهي التي تقتل النساء والأطفال بالقنابل عندما تقصف البيوت.

فالجهاد مفروض علىٰ المسلمين للدفاع عن المقدسات، وتحرير أرض فلسطين التي احتلها الصهاينة المبعثرون في التاريخ بموجب وعد بلفور الظالم الباطل.

فعداوة الصليبيين للإسلام والمسلمين هي التي هيأت الفرصة للصهاينة ليحتلوا فلسطين، مستغلين التخاذل والفساد في بعض المجتمعات العربية والإسلامية وضعف المسلمين.

إن الأمة كانت تتحرك بجيوشها إذا ظُلم فرد منها. إننا نتذكر ما قالته تلك المرأة التي تعرضت للظلم والإهانة من أعداء الإسلام في عهد المعتصم عندما نادت: وامعتصماه، فتحركت الجيوش الإسلامية حتىٰ هزمت

أعداء الإسلام، وتخلصت المرأة والمسلمون من الظلم، وذٰلك ما جعل شاعراً في هـٰذا العصر وهو عمر أبو ريشة رَحِمَهُ اللَّهُ يقارن يومنا بأمسنا فيقول:

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتّم
لامست أسماعهم لٰكنها لم تلامس نخوة المعتصم

فأين نخوة المسلمين اليوم حتىٰ يتحركوا من أجل النساء والأطفال في فلسطين، ويعلنوا الجهاد في سبيل الله؟ فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ، كما قال عليه الصلاة والسلام[1].

فيجب علىٰ المسلمين القتال من أجل تحرير فلسطين من الصهاينة، وإرجاع مقدسات المسلمين في فلسطين إلىٰ المسلمين من أجل أن يعيش الفلسطينيون في بلادهم مكرمين يحكمون بلادهم. والقتال من أجل فلسطين اليوم هو القتال في سبيل الله. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٦٥)، ومسلم برقم (٦٧٥١)، وغيرهما.

وقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج].

وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]

نشرت بعض الصحف أن بعض المفتين يقول: إن عقوبة المرتد تقع في الآخرة وليس في الدنيا. وهٰذا القول غير صحيح، ومخالف لما جاء في الكتاب والسُّنَّة. ففي كتاب «الحدود في الإسلام»: ولجريمة الردة عقوبتان:

إحداهما دنيوية، والأخرىٰ أخروية.

أما الدنيوية فقد ثبتت بالأحاديث الصحيحة. فقد روىٰ البخاري وغيره[1] قوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

وأما الأخروية ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وفي كتاب «الفقه الإسلامي وأدلته» في فصل أحكام

(١) رواه البخاري برقم (٢٨٥٤)، وأصحاب السنن وغيرهم.

المرتد قال: اتفق العلماء علىٰ وجوب قتل المرتد، لقوله ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه»[1]، وقوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحد ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[2]. وأجمع أهل العلم علىٰ وجوب قتل المرتد، وكذا تقتل المرأة المرتدة عند جمهور العلماء غير الحنفية، بدليل أن امرأة يقال لها أم مروان ارتدت عن الإسلام، فبلغ أمرها للنبي ﷺ فأمر أن تستتاب فإن تابت وإلا قتلت[3]. وقد وقع في حديث معاذ أن النبي ﷺ لما أرسله إلىٰ اليمن قال له: «أيما رجل ارتد عن الإسلام؛ فادعه، فإن عاد؛ وإلا فاضرب عنقه. وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام؛ فادعها، فإن عادت؛ وإلا فاضرب عنقها»[4]. قال الحافظ ابن حجر وسنده حسن، وهو نص في موضوع النزاع، فيجب المصير إليه[5].

وقال الحنفية: لا تقتل المرأة المرتدة، ولٰكنها تجبر علىٰ الإسلام، وإجبارها يكون بالحبس إلىٰ أن تسلم أو

---

(١) تقدم تخريجه آنفاً.
(٢) رواه البخاري برقم (٦٤٨٤)، ومسلم برقم (٤٤٧٠)، وغيرهما.
(٣) أخرجه الدارقطني (٣/ ١١٨)، وغيره، وضعفه الألباني في «الإرواء» برقم (٢٤٧٢).
(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥٣).
(٥) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٢).

تموت. ودليلهم علىٰ عدم جواز قتل المرأة المرتدة قوله ﷺ: «لا تقتلوا المرأة»[1]. وفي حديث صحيح آخر أن النبي ﷺ نهىٰ عن قتل النساء[2]، ولأن القتل لدفع شر الحرابة لا بسبب الكفر، إذ جزاؤه أعظم من القتل عند الله تعالىٰ، فيختص القتل لمن يتأتىٰ منه المحاربة، وهو الرجل دون المرأة لعدم صلاحية بنيتها[3].

ويقول الدكتور أبو حسان: تعد جريمة الردة من الجرائم التي تشكل خطراً مباشراً علىٰ أمن الدولة الإسلامية. وقد اتفق الفقهاء علىٰ وجوب قتل المرتد الذي رجع عن الإسلام بعد أن كان مسلماً بدليل قول الرسول ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه». أما غير المسلم فلا يعد مرتداً إذا غير دينه. ولا يمكن إدراك مدىٰ خطورة هٰذه الجريمة وخطورة مرتكبها علىٰ المجتمع الإسلامي إلا إذا نظرنا إليها من خلال رؤية شمولية للثقافة الإسلامية. وهٰذا يتطلب إلقاء الضوء علىٰ جوانب هٰذه الثقافة

---

(١) أخرجه الدّارقطني في «السنن»، قال: (لا يصح وفيه عبد الله بن عِيسَىٰ وَهُوَ كَذَّاب). (٣/ ١١٧)، و«الدراية في تخريج أحاديث الهداية» لابن حجر العسقلاني: (٢/ ١٣٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٥٢)، ومسلم برقم (٤٦٤٦)، وغيرهما.

(٣) «الفقه الإسلامي وأدلته» أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ (٧/ ٥٥٨٠ ـ ٥٥٨١).

المتعلقة بهٰذه الجريمة. فإذا اتجهنا إلىٰ النظام العقابي الإسلامي وجدناه يهدف إلىٰ حماية المصالح الواجب حفظها. فمن اعتدىٰ علىٰ أية مصلحة فيها، لقي العقوبة التي يحددها هٰذا النظام[1].

وقال أيضاً: إن جريمة الردة في التشريع الإسلامي تشبه من عدة وجوه جناية الخيانة في القوانين الوضعية. فإذا كان المشرع الوضعي يعاقب مرتكب جناية الخيانة بعقوبة الإعدام إذا مسّت استقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة أراضيها، أو أدت إلىٰ زعزعة إخلاص القوات المسلحة أو إضعاف الروح المعنوية لدىٰ الشعب... إلخ، فإن الشريعة الإسلامية علىٰ الجانب الآخر تعاقب بالإعدام مرتكب جريمة الردة؛ لأنها تعد هٰذه الجريمة خطراً يهدد وجود الدولة الإسلامية، فهي تستهدف خلع الأساس الذي تقوم عليه هٰذه الدولة وهو الدين، وليس مجرد المساس باستقلال الدولة أو وحدتها أو وحدة أراضيها... إلخ[2].

والردة قد تقع بالاعتقاد أو بالشك أو بالقول أو بالفعل. وإذا وقعت ترتب علىٰ ذٰلك أمور غير القتل منها:

---

(١) «أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة» للمحامي الدكتور أبو حسان (٣٩٩).

(٢) «أحكام الجريمة والعقوبة» (٤٠٤).

أنه لا يرث ولا يورث، ويفسخ نكاحه، وإن مات أو قتل مرتداً فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلىٰ عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يدعىٰ له بالرحمة والمغفرة.

ألا فليحذر المسلم كل الحذر من الوقوع في الردة. أعاذنا الله وإياكم من ذٰلك.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة]

بعض الناس من أهل الغرب والمستشرقين يتهمون الإسلام أنه يُكره الناس علىٰ اعتناقه، وهم في ذٰلك مفترون كاذبون. قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هٰذا الآية: يقول الله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾؛ أي: لا تُكرهوا أحداً علىٰ الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلىٰ أن يُكره أحد علىٰ الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه علىٰ بينة، ومن أعمىٰ الله قلبه وختم علىٰ سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٢).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: هٰذا هو حكم الدين الذي يزعم الكثيرون من أعدائه ـ وفيهم مَن يظن أنه من أوليائه ـ أنه قام بالسيف والقوة. فهل كان السيف يعمل عمله في إكراه الناس علىٰ الإسلام في مكة أيام كان النبي ﷺ يصلي مستخفياً، وأيام كان المشركون يفتنون المسلم بأنواع من التعذيب ولا يجدون رادعاً، حتىٰ اضطر النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ الهجرة. أم يقولون ذٰلك الإكراه وقع في المدينة بعد أن اعتز الإسلام. وهٰذه الآية قد نزلت في غرة هٰذا الاعتزاز، فإن غزوة بني النضير كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة، وقال البخاري: إنها كانت قبل غزوة أُحد التي لا خلاف أنها كانت سنة ثلاث، وكان كفار مكة لا يزالون يقصدون المسلمين بالحرب. نقض بنو النضير عهد النبي ﷺ فكادوا له، وهمّوا باغتياله مرتين وهم بجواره في ضواحي المدينة، فلم يكن له بد من إجلائهم عن المدينة، فحاصرهم حتىٰ أجلاهم، فخرجوا مغلوبين علىٰ أمرهم. ولم يأذن لمن استأذنه من أصحابه بإكراه أولادهم المتهودين علىٰ الإسلام، ومنعهم من الخروج مع اليهود، فذٰلك أول يوم خطر فيه علىٰ بال بعض المسلمين الإكراه علىٰ الإسلام، وهو اليوم الذي نزل فيه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. قال الأستاذ الإمام ـ محمد عبده ـ رحمه الله تعالىٰ: كان معهوداً عند بعض الملل ـ لا

سيما النصارىٰ ـ حمل الناس علىٰ الدخول في دينهم بالإكراه، وهٰذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين؛ لأن الإيمان ـ وهو أصل الدين وجوهره ـ عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان، ولذٰلك قال تعالىٰ بعد نفي الإكراه ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾؛ أي: قد ظهر أن في هٰذا الدين الرشد والهدىٰ والفلاح والسير في الجادة علىٰ نور، وأن ما خالفه من الملل والنحل علىٰ غي وضلال.

وقال الشيخ محمد رشيد أيضاً: ورد بمعنىٰ هٰذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس]، ويؤيدهما الآيات الكثيرة الناطقة بأن الدين هداية اختيارية للناس مؤيدة بالآيات والبينات، وأن الرسل لم يبعثوا جبارين ولا مسيطرين، وإنما بعثوا مبشرين ومنذرين[(١)].

وقال سيد قطب رحمه الله: إن قضية العقيدة كما جاء بها هٰذا الدين قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار. ولقد جاء هٰذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته، ويخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة.

---

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣١ ـ ٣٣) بتصرف.

وقال أيضاً: جاء الإسلام يعلن في أول ما يعلن هٰذا المبدأ العظيم الكبير ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ وفي هٰذا المبدأ يتجلىٰ تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه بما يختص بالهدىٰ والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعات عمله وحساب نفسه.

وقال أيضاً: والإسلام وهو أرقىٰ تصور بالوجود والحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء، وهو الذي ينادي بـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وهو الذي يبيّن لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس علىٰ هٰذا الدين. والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ نفي الجنس كما يقول النحويون؛ أي: نفي جنس الإكراه نفي كونه ابتداء. فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع، وليس مجرد نهي عن مزاولته، والنهي في صورة النفي ـ والنفي للجنس ـ أعمق إيقاعاً وآكد دلالة[1].

ولقد فرض الإسلام الجهاد ليدفع عن المؤمنين الأذىٰ والعدوان والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل للمسلمين الأمن علىٰ أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم. قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ

---

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٢٩١) بتصرف.

﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة]. فالفتنة التي تعرض لها المسلمون أشد من القتل.

وكافأ الله هـٰؤلاء الذين يُقتلون في سبيل الله بجنات الخلد في الآخرة قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾ [البقرة].

وأما غير الحربي من الكفار، والملتزم بقانون دولة المسلمين، فالإسلام لا ينهىٰ عن معاملته بالحسنىٰ قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة].

سورة آل عمران

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

مع الأسف بعض علماء الدين يفتون بجواز الردة عن الإسلام، مستدلين بما جاء في الآية: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩]. ولو أنهم أكملوا قراءة الآية وتأملوا في معناها، لما قالوا ذٰلك الذي قالوه من الافتراء. فالآية تقول: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

قال القرطبي في تفسير هٰذه الآية ومعناها: قل يا محمد لهٰؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس مِن ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان وبيده الهدىٰ والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر، ليس إليّ من ذٰلك شيء. فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفاً، ويحرمه من يشاء ولو كان قوياً غنياً. ولست

بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا. وليس هٰذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر وإنما هو وعيد وتهديد؛ أي: إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة[1].

فليس للإنسان الحرية في الخروج من الإسلام كيفما يشاء ومتىٰ يشاء. فإن خرج من الإسلام ولم يتب ومات علىٰ ذٰلك، كان له العذاب المهين في الآخرة. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]. والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة. وهٰذا في الآخرة. وأما في الدنيا فالمرتد حكمه أن يستتاب، فإن لم يتب يقتل.

فكيف بعد هٰذا كله يأتي من يقرر أن للإنسان الحرية في أن يرتد عن الإسلام؟!

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٩٣).

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾
[آل عمران: ١٠٣]

المسجد الأقصىٰ الآن مهدد بإحداث تغييرات فيه من أجل بناء الهيكل في محل حائط البراق. وإن الواجب علىٰ المسلمين وفي مقدمتهم شعب فلسطين أن يتضامنوا ويوحدوا صفوفهم من أجل فلسطين وتحرير القدس والمسجد الأقصىٰ.

ويلاحظ أن أمريكا وإسرائيل مصممتان علىٰ اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، وأنه ليس للمسلمين أي حق في القدس والمسجد الأقصىٰ. وفي مقابل التصميم من جانب أمريكا وإسرائيل نرىٰ مع الأسف تقاعساً وتخاذلاً في جانب العرب والمسلمين. والسبب هو الضعف الذي أصابهم نتيجة تفرقهم وتفككهم، وعدم استمساكهم بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، وهي عقيدة الإسلام. بل جاءت النخبة المزعومة بأفكار تشكك في عقيدة المسلمين وتصرفهم عن واجبهم نحو المقدسات وحمايتها. وأصبح المسلمون الآن رغم كثرة عددهم غثاء كغثاء السيل. فهل تستمر هٰذه الحال؟ وإلىٰ متىٰ يستمر هٰذا الضعف وهٰذا التخاذل؟

لقد قام ولاة أمور المسلمين علىٰ مدار التاريخ بواجبهم نحو الأرض المباركة، ولنتذكر جميعاً أن السلطان عبد الحميد عندما طُلب منه أن يتنازل عن فلسطين، وهو في أحلك الظروف قال: إن عمل المبضع في بدني لأهون عليَّ من أن أرىٰ أرض فلسطين قد بترت من الدولة الإسلامية، وهٰذا أمر لا يكون.

فالواجب أن يكون موقف قادة المسلمين جميعهم علىٰ هٰذا المستوىٰ من الحرص علىٰ القدس وأرض فلسطين. وماذا ينتظرون في هٰذه الدنيا إذا فرطوا في الأمانة؟ أليست أرض القدس والمسجد الأقصىٰ أمانة في أعناق قادة المسلمين؟ فإن تخاذل هٰؤلاء فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وإذا كان هؤلاء القادة عاجزين عن التصدي لأمريكا وإسرائيل كما هو الواقع، فعلىٰ الأقل ألّا يقفوا ضد أولٰئك الذين يريدون أن يقوموا بواجبهم ويتصدوا للأعداء ويجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم في تلك الأرض المقدسة. بل الواجب عليهم أن يساعدوهم ولو بطرق غير ظاهرة لا تغضب عليهم من لا يريدون إغضابه. ولٰكن مع الأسف نرىٰ البعض منهم يتآمر وينسق مع الموساد من أجل ضرب المجاهدين.

فماذا سيقول هٰؤلاء إذا وقفوا بين يدي الله في يوم لا تنفع فيه سلطة ولا تنفع فيه أمريكا ولا إسرائيل؟

وليعلم هٰؤلاء وغيرهم أن هناك مبشرات، وسيأتي يوم يستعيد المسلمون فيه اتحادهم وتضامنهم وقوتهم. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد]، وقال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ! هٰذا يَهُودِي خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[1]، وغير ذٰلك من المبشرات.

فيجب ألّا نيأس ولا نستسلم للواقع المهين، بل يجب أن نعمل وأن نأخذ بالأسباب، وألّا نسمح للسلبيات

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٥٢٣)، وأحمد في «المسند» برقم (٩٣٨٧).

أن تتحكم فينا، ولا للعناصر الانتهازية أن تتاجر في قضايانا، ولا للعناصر المعادية للإسلام أن تشكك في عقيدتنا وتاريخنا وتفرق كلمة المسلمين بإثارة النعرات. وعلينا بالاعتصام والتوحد ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف.

فإن ذٰلك من أعظم أسباب النصر والتمكين.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]

لم يكن المسلمون خير أمة أخرجت للناس إلا لأنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله. ويلاحظ من ترتيب الآية الكريمة مدىٰ الاهتمام الكبير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقديمهما قبل الإيمان به سبحانه لينبه الأذهان إلىٰ أهميتهما، وإن كان من المعلوم أن الإيمان بالله هو أساس كل عمل صالح، وأنه بدونه لا تكون النجاة ولا الفلاح.

وينبغي أن يكون الآمر والناهي ملتزماً بما يأمر وينهىٰ. قال ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ (أي: تخرج أمعاؤه) فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَىٰ. فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا

آتِيهِ، وَأَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[1].

فالأمة الإسلامية مسؤولة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلها الله خير أمة من أجل ذٰلك، وبما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة من وسائل الجهاد في سبيل الله، فعلىٰ المسلمين في هٰذا العصر أن يحققوا ذٰلك الجهاد، بأن يأمر بعضهم بعضاً بالمعروف الذي يتمثل الآن في أن يتضامنوا وأن يتحركوا لتحرير فلسطين والمسجد الأقصىٰ ليزيلوا المنكر وهو احتلال أعداء الإسلام للأراضي الفلسطينية، وتشريد أهلها من بلادهم. فالاحتلال هو من المنكر الذي فرض الله علىٰ المسلمين أن يجاهدوا من أجل إزالته. فالجهاد وسيلة شرعية من أجل دفع الظلم عن الفلسطينيين، وتحرير بلاد الإسلام ومقدسات المسلمين. قال الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لعدوهم قاهرين، حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم كذٰلك»، قيل: يا رسول الله أين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[2].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٩٤)، ومسلم برقم (٧٦٧٤) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٣٧٤)، والطبراني في «الكبير» برقم (٧٥٤)، وإسناده بهذا اللفظ حسن إن شاء الله. راجع: «صفة الغرباء» للشيخ سلمان العودة: (١٦٠ ـ ١٦٢). والشطر الأول من الحديث دون ذكر أكناف بيت المقدس مخرج في «الصحيحين».

فالمسلمون اليوم يجب أن يكونوا مجاهدين في سبيل الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

والجهاد هو السمة المميزة لأمة الإسلام في تاريخها الطويل، وهو طريقها المرسوم إلىٰ الهداية والتمكين في الأرض، وإرضاء الله تعالىٰ. وفلسطين التي يجب من أجلها الجهاد هي أرض الإسراء والمعراج، الأرض المباركة التي فيها المسجد الأقصىٰ، أولىٰ القبلتين، وثاني المسجدين: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

فيجب ألّا يُترك المجاهدون وحدهم يقاتلون العدو الإسرائيلي، بل علىٰ المسلمين أن يقفوا معهم ويمدوهم بالنفس والمال والسلاح من أجل تحرير فلسطين، بحسب ما يقتضيه الأمر. قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

سورة النساء

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾.

قال سيدنا علي رضي الله عنه: هٰذا خطاب لولاة المسلمين خاصة، فهو للنبي ﷺ وأمرائه، ثم تناول من بعدهم[١].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها أو قال: كل شيء إلا الأمانة»[٢].

وفي كتاب «الجامع لأحكام القرآن» للإمام

---

(١) «المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي (٢/ ٨٤ ـ ٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (٥/ ٢٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠١)، وغيرهما بإسناد ضعيف. ورواه وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠١)، وكذا غيره بمعناه موقوفاً علىٰ ابن مسعود بإسناد حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٧٦٣). ولٰكن مثل هذا الموقوف له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي، والله أعلم.

القرطبي: وقال ابن عباس: لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة. قلت: وهٰذا إجماع. وأجمعوا علىٰ أن الأمانات مردودة إلىٰ أربابها الأبرار منهم والفجار. قاله ابن المنذر(١).

والديون من الأمانات التي لا يكفرها القتل في سبيل الله. والولاة أمرهم الله بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين الناس بالعدل. وقال سيدنا علي رضي الله عنه: حق علىٰ الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل فحق علىٰ الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا(٢).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

قال الإمام القرطبي: فأمر تعالىٰ برد المتنازع فيه إلىٰ كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، وليس لغير العلماء معرفة كيفية

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (٥/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٨/ ٤٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٦) وغيرهما.

الرد إلىٰ الكتاب والسُّنَّة. ويدل هـٰذا علىٰ صحة كون سؤال العلماء واجباً، وامتثال فتواهم لازماً.

قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هـٰذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهـٰذين أفسد دنياهم وأخراهم[1].

فيجب أن يكون القضاة وأهل الفتوىٰ ملتزمين بما في الكتاب والسُّنَّة من أحكام، ويجب أن تتوفر فيهم شروط أهمها العلم والنزاهة.

وجاء في كتاب «الفتوىٰ في الإسلام»: فقد ظلت الفتوىٰ تمثل جزءاً خطيراً من تراث المسلمين، وظل هـٰذا المنصب هو منصب الموقِّع عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منذ قال لنبيه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقد كان ﷺ هو أول المفتين وإمامهم ورائد قافلتهم ودستور أحكامهم، اختاره الله عَزَّ وَجَلَّ لهـٰذا المنصب الرفيع، وألقىٰ في روعه أجوبة المسلمين علىٰ تساؤلاتهم، فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومع الأسف ظهر في هـٰذا العصر من يفتي بغير

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٦٠).

علم، ويحل الحرام، مثل أولـٰئك الذين أفتوا بحل الفوائد الربوية. وقد أحسن فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتي جمهورية مصر السابق، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية الذي ألف كتاباً سماه: «جهاد في رفع بلوىٰ الربا في الفقه الإسلامي والمعاملات المالية المعاصرة» جاء في هـٰذا الكتاب ما يلي: شبهات تثار ومفتريات تدعىٰ من قبل الذين يتعاملون بالربا:

يقول هـٰؤلاء:

أ ـ إن الفائدة علىٰ القروض الإنتاجية ليست من الربا المحرم.

ب ـ كما يقولون: لماذا لا تعتبر الفائدة التي يأخذها المودعون من البنوك والتي تتقاضاها البنوك من المقترضين هي إيجار المال كإيجار العقار وهو مال؟

جـ ـ ويقولون أيضاً: ما دام أن الضرر قد انتفىٰ بين المتعاملين بالفائدة فلا تعتبر هـٰذا الفائدة رِباً.

د ـ يكررون هـٰذه الأوهام وتلك الأباطيل فيقولون: إن الفائدة التي يتقاضاها المودعون من البنوك ويدفعها المقترضون ليست رِباً، بل هي فرق القوة الشرائية للمبلغ حين الاقتراض وحين السداد.

هـ ـ وأخيراً يقولون: إن الضرورة للأخذ بالمعاملات الاقتصادية المعاصرة التي تتعامل بالفائدة تخرج هـٰذه

الفائدة عن نطاق الربا، إلىٰ غير ذٰلك من الأقوال التي سنفندها فيما يلي:

لقد كثر الكلام في هـٰذه الأيام حول الفائدة التي يتقاضاها المودعون لأموالهم بالبنوك، والتي تتقاضاها البنوك من المقترضين، وهل هي من الربا المحرم أم لا؟

والذين يثيرون هـٰذه القضية هم أرباب الأموال ورجال الأعمال الذين يتعاملون مع البنوك بالفائدة، فلقد أجهدوا أنفسهم في وضع التبريرات الباطلة والحجج الواهية لأعمالهم ليبعدوا هـٰذه الفائدة من حظيرة الربا المحرم. وهي كلها تبريرات خاطئة، وسنبين وجه الخطأ فيها فيما نوضحه بعد.

هـٰذا وللرد علىٰ ما يثيره هـٰؤلاء نرىٰ لزاماً علينا أن نشير باختصار إلىٰ الأسس والأساليب التي تتبعها البنوك الربوية في العالم الشرقي والغربي، والنهج الذي تقوم عليه وتدعو إليه وتعمل جاهدة علىٰ رواجه بين عملائها، ونرىٰ كذٰلك أن نوضح لماذا أنشئت البنوك الإسلامية، والأساس الذي تقوم عليه. وقد أوضحنا في الفصل السابق ما قررته أحكام الشريعة الغراء بشأن تحريم الربا، وفصلنا أدلة ذٰلك وبيّنا حكمة المشروعية.

لـٰكن البنوك الربوية قد اتخذت الربا وسيلة لجمع المال والسيطرة علىٰ شتّىٰ المرافق في الدول، وخلق

التضخم والأموال الوهمية، وبذٰلك سيطرت علىٰ عقول من استقطبتهم إليها من أصحاب الأموال وأتباعهم، وجعلتهم يعتقدون أو اعتقدوا هم بنظرتهم السطحية أن السير علىٰ أسس الاقتصاد الإسلامي الذي يحرم الربا سيعوق مسارهم ويوقف نشاطهم ويعرقل اقتصادهم المزعوم، ذٰلك لأن البنوك الربوية التي تتعامل بالفائدة تقوم علىٰ ضمان الأموال لمودعيها.

كان ذٰلك لأن نظرتهم السطحية كما قلنا نحو فهم مسائل الاقتصاد الإسلامي وطرق الاستثمار به هي التي جعلتهم يعتقدون هٰذه العقيدة، وأجبرتهم علىٰ معاداة كل فكر اقتصادي يقوم علىٰ الدعامة الإسلامية الصحيحة، حتىٰ قالوا باستحالة قيام البنوك الإسلامية ـ وقد قامت والحمد لله ـ. قالوا ذٰلك لأنهم يرون أن في أحكام الشريعة والاقتصاد الإسلامي ما يقف أمام أغراضهم ويحول بينهم وبين الفائدة الربوية السهلة المنال لأرباب الأموال، يأخذون فتاتها دون تعب أو مخاطرة، ويأخذ البنك الذي يتعامل بها نصيب الأسد منها. ولم يكتفوا بذٰلك بل ظلوا يؤيدون منهجهم الربوي، بل حاولوا بشتّىٰ الطرق والعديد من النظريات الخاطئة أن يسبغوا علىٰ سعر الفائدة المحرمة شرعية المنهج والمسلك بما ادعوه من تبريرات خاطئة أشرنا إليها في صدر الكلام.

أ ـ فيقولون مثلاً: إن الفائدة علىٰ القروض الإنتاجية ليست من الربا المحرم. ويبررون هـٰذا القول بما يدّعونه من أن هـٰذه القروض تساعد علىٰ حركة الإنتاج والاستثمار. وهو قول لا يمت إلىٰ الحقيقة بصلة؛ لأن المقترضين من البنوك الربوية لأجل مشروعاتهم الاستثمارية قد ضمنوا هـٰذه القروض للبنك، وحدد عليهم البنك الفائدة المستحقة علىٰ هـٰذا القرض مسبقاً. ولا شأن له بنجاح المشروع الذي اقترض له المال من عدمه، وسواء أربح المشروع أم خسر فإن فائدة البنك علىٰ القرض ثابتة مضمونة. كما لا شأن للبنك المقرض بمشروع الاستثمار هـٰذا. وهل ستستثمر الأموال في الأوجه الحلال التي تقرها الشريعة الغراء أم لا؟ كل هـٰذا لا شأن للمقرض به. وكل الذي يهمه هو الحصول علىٰ الفائدة المحددة مسبقاً، وضمان القرض. فهل بعد ذٰلك كله يقال: إن هـٰذا قرض إنتاجي، وما يؤخذ من فائدة عليه ليست رِبا؟ وأين يكون الرِّبا حينئذ إذا لم يكن ذٰلك رِباً؟ أموال تعطىٰ بفائدة محددة خسر صاحبها أم كسب؟ استغلت في الحلال أو الحرام؟ ضمنها المقترض وأعطىٰ عنها فائدة وخالف مع من أقرضه نصوص السُّنَّة، إذ يقول الرسول ﷺ: «الخراج بالضمان»[1]. فضمن المال

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (٢٤٢٧٠)، وأبو داود برقم (٣٥١٠)، وغيرهما بإسناد حسنه الألباني كما في «الإرواء» برقم (١٣١٥).

وأعطىٰ للمقرض الزيادة وهي الرِبا بنصوص القرآن والسُّنَّة، إذ أن هٰذه أثمان، وقد وردت السُّنَّة مبينة أن الفضل فيها رِباً. هٰذا ولو كان البنك الربوي يشجع الإنتاج والاستثمار كما يدّعون لشارك بالمال في الاستثمار ربح أم خسر، وما يرزق الله به من ربح يوزع حسب اتفاق الشركاء.

وأصحاب فكرة إباحة فوائد القروض هٰذه حين يجدون الطريق مسدوداً يقولون: إن القروض الإنتاجية بفائدة لم تكن معروفة لدىٰ العرب حين نزل القرآن بتحريم الرِّبا، ووردت نصوص السُّنَّة مبينة لأنواع الرِّبا، وأن فائدة هٰذه القروض حينئذ ليست من الرِّبا المحرم.

ونقول لهٰؤلاء: إن هٰذا زعم مردود، فقد أوضحنا فيما سبق أنواع الربا المحرم شرعاً، ومنها هٰذا النوع وهو محرم بنصوص القرآن والسُّنَّة وإجماع فقهاء المسلمين علىٰ ذٰلك. والشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وما فيها من تشريعات لم تكن لعصر معين بل هي لكل العصور. والله جل شأنه يقول بشأن الرِّبا والزيادة علىٰ رأس المال: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]. والحكم مطلق في الآية سواء كانت رؤوس الأموال قد استخدمها مقترضوها في أغراض إنتاجية أو استهلاكية.

كذٰلك ورد حديث الرسول ﷺ: «كل قرض جر نفعاً

فهو رِباً»[١]. ولم يفرق الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين القرض الإنتاجي والقرض الاستهلاكي. بل كان الحديث في إطلاقه مؤكداً أن القرض في أي وجه استعمل لا يجوز أن يدر نفعاً مشروطاً للمقرض كما يحصل الآن في قروض المصارف الربوية المحدد فيها سعر الفائدة المحرمة علىٰ كل قرض.

هـٰذا وفيما نورده من أحداث التاريخ أيضاً ما يؤكد أن القرض الإنتاجي بالربا كان معروفاً لدىٰ العرب قبل الإسلام، وقد جاء القرآن محرماً لكل أنواع الربا ومنها الرِّبا في هـٰذا القرض. فلقد ثبت من واقع التاريخ وأحداثه أنهم كانوا في العصر الجاهلي يعرفون القروض الإنتاجية ويتعاملون بها، بل كانت من ضرورات اقتصادهم، إذ أن مكة وما حولها من القرىٰ المرتبطة بها في التجارة كانت

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ لم يثبت عن النبي ﷺ وروي بلفظ آخر وهو: أن النبي ﷺ ـ نهىٰ عن قرض جر منفعة. فقد رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» برقم (٤٣٧) وفي إسناده متروك كما قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٨٩ ـ ٩٠)، وضعفه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» في معرض كلامه علىٰ الحديث رقم (١٣٩٦). ولـٰكن صحت آثار موقوفة عن بعض الصحابة تؤيد المرفوع الضعيف. والحديث معناه صحيح في الجملة، وهو قاعدة من قواعد المعاملات الفقهية ولها تفاصيل في كتب الفروع.

تتخذ القرض الإنتاجي من أسس معاملاتها التجارية في السلع التي كانت تستوردها قريش في كل من رحلتي الشتاء والصيف إلىٰ اليمن والشام. وهٰذا التبادل التجاري بين مكة وما جاورها كان يتم أكثره عن طريق القروض الربوية؛ لأن التجارة كانت تحتاج إلىٰ التمويل. فإذا لم يكن رأس المال متوفراً لدىٰ البعض منهم كان يلجأ إلىٰ الاقتراض برباً محدد يتعهد بأدائه إلىٰ المقرض اعتماداً علىٰ أن الربح الذي سوف يجنيه من الاتجار في المال المقترض سيكون أكثر من الرِّبا المحدد للقرض، وقد يخسر رأس ماله[1].

بعد هٰذا لا يسعنا إلا أن نقول ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم].

فالفتوىٰ بغير علم داخلة في عموم خيانة الأمانة التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة.

---

(١) «جهاد في رفع بلوىٰ الربا في الفقه الإسلامي والمعاملات المالية المعاصرة» للشيخ محمد خاطر (١/١٧ ـ ٢١).

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾

[النساء: ٧٨]

قال الإمام القرطبي: وواحد البروج: برج، وهو البناء المرتفع والقصر العظيم.

وقال أيضاً: واختلف العلماء وأهل التأويل في المراد بهٰذه البروج، فقال الأكثر وهو الأصح: إنه أراد البروج في الحصون التي في الأرض المبنية؛ لأنها غاية البشر في التحصن والمنعة، فمثل الله لهم بها. وقال قتادة: في قصور محصنة. وقاله ابن جريج والجمهور، ومنه قول عامر بن الطفيل للنبي ﷺ: «**هل لك في حصن حصين ومنعة؟**»[١].

وقال مجاهد: البروج القصور. وقال ابن عباس: البروج الحصون والآطام والقلاع. ومعنىٰ (مُشَيَّدَةٍ): مطولة. قال الزجاج والقتبي وعكرمة: المزينة بالشيد وهو الجص. قال قتادة: محصنة. والمشيد والمشيّد سواء، ومنه ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٢٥]. والتشديد للتكثير. وقيل: المشيد المطول، والمشيّد المطلي بالشيد. يقال:

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٢٦)، وأحمد في «المسند» برقم (١٤٩٨٢).

شاد البنيان وأشاد بذكره. وقال السدي: المراد بالبروج بروج في السماء الدنيا مبنية. وحكىٰ هـٰذا القول مكي عن مالك وأنه قال: ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج]، و﴿جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الحجر: ١٦]. وحكاه ابن العربي أيضاً عن ابن القاسم عن مالك. وحكىٰ النقاش عن ابن عباس أنه قال: ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ معناه: في قصور من حديد. قال ابن عطية: وهـٰذا لا يعطيه ظاهر اللفظ(١).

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ قال الإمام القرطبي: وفي البروج أقوال أربعة:

أحدها: ذات النجوم، قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك.

الثاني: القصور، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد أيضاً. وقال عكرمة: هي قصور في السماء. وقال مجاهد: البروج فيها الحرس.

الثالث: ذات الخلق الحسن قاله المنهال بن عمرو.

الرابع: ذات المنازل، قاله أبو عبيدة ويحيىٰ بن سلام. وهي اثنا عشر برجاً، وهي منازل الكواكب

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

والشمس والقمر، يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم، فذٰلك ثمانية وعشرون يوماً، ثم يستسر ليلتين، وتسير الشمس في كل برج منها شهراً، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. والبروج في كلام العرب: القصور. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨]، وقد تقدم[1].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨٣).

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء]

هٰذه الآية في كتاب الله تدل علىٰ أن المسألة ليست بالادِّعاء. يقول ابن عباس في تفسيرها: تخاصَمَ أهل الأديان فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء. وقال أهل الإنجيل مثل ذٰلك. وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نَسَخَ كلّ كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأُمِرْتُم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا. فقضىٰ الله بينهم فقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[1].

يقول الأستاذ محمد عبده فيما ينقل عنه صاحب «المنار»: إنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ تَبَعاً لِمَنْ قَبْلَهُمْ فِي أَزْمِنَةٍ مَضَتْ: إنَّ الْإِسْلَامَ أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ. أيُّ دِينٍ أَصْلَحَ إصْلَاحَهُ؟ أيُّ دِينٍ أَرْشَدَ إرْشَادَهُ؟ أيُّ شَرْعٍ كَشَرْعِهِ فِي كَمَالِهِ؟ وَلَوْ سُئِلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ: مَاذَا فَعَلَ الْإِسْلَامُ، وَبِمَاذَا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١٧).

يَمْتَازُ علىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ؟ لَا يُحِيرُ جَوَاباً[1].

ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا علىٰ الآية المذكورة والآية التي بعدها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء]، قائلاً: إنَّ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنَ الْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ مَا يَدُكُّ صُرُوحَ الْأَمَانِيِّ وَمَعَاقِلَ الْغُرُورِ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا وَيَتَحَصَّنُ فِيهَا الْكُسَالَىٰ وَالْجُهَّالُ وَالْفُسَّاقُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الدِّينَ كَالْجِنْسِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَظَنُّوا أَنَّ اللهَ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ يُحَابِي مَنْ يُسَمِّي نَفْسَهُ مُسْلِماً، وَيُفَضِّلُهُ علىٰ مَنْ يُسَمِّيهَا يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً بِمُجَرَّدِ اللَّقَبِ، وَأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ لَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ[2].

إذن لن ينفع المسلمين إسلامهم من غير عمل نافع، وإذا ساءت أعمالهم وكانت سلبياتهم أكثر من إيجابياتهم، فإن عاقبتهم ستكون وخيمة في دنياهم وأخراهم.

إن الدين كما يقول الإمام ابن كثير[3] ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولٰكن ما وقر في القلوب، وصدقته

---

(١) «تفسير المنار» (٥/ ٣٥٤).

(٢) «تفسير المنار» (٥/ ٣٥٦).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١٧).

الأعمال[1]. ومن هٰذا المنطق لا بد أن تكون هنا صحوة إسلامية يكون منها الانطلاق إلىٰ الأهداف المنشودة للإسلام، لتكون كلمة الله هي العليا في هٰذه الأرض، ويندحر الطغاة والجبارون.

لقد آن للمسلمين أن يقوموا بدورهم الذي كلفهم الله به وهو هداية العباد، وإخراجهم من عبادة العباد، إلىٰ عبادة رب العباد، ومن جور أهل الأديان إلىٰ عدالة الإسلام، كما هي رسالتهم، وكما عبر عنها ربعي بن عامر في مجلس كسرىٰ منذ انبثقت دعوة الإسلام[2]. فنهض بها رجال تحملوا الرسالة بعد أن صقلهم الإسلام، وهيّأهم لحملها. ولٰكن ظهرت بعد ذٰلك نابتة من المسلمين خلفوا أولٰئك، عجزوا عن مواصلة السير، فسقطوا في الطريق بعد أن هزلوا، وصاروا غثاء كغثاء السيل.

لقد مضت فترة كان فيها الشباب في العالم الإسلامي ينظر إلىٰ التدين نظرة ازدراء واحتقار، وأن المتمسك بدينه في نظرهم متخلفاً رجعياً. وكان الفكر المسيطر والمهيمن علىٰ عقول هٰؤلاء هو الفكر

---

(١) جاء في هذا المعنىٰ حديث: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولٰكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. لٰكنه لا يصح مرفوعاً كما في «السلسلة الضعيفة» للألباني برقم (١٠٩٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٠١).

الماركسي، واعتقد أنه بهٰذا الفكر سيقضي علىٰ التخلف، وسيحرر بلاد المسلمين من الاستعمار، وسيحرر فلسطين من اليهود، واعتقد أنه عن طريق هٰذه الأفكار أيضاً ستقوم نهضة اقتصادية وثقافية واجتماعية في بلاد العرب والمسلمين. ولٰكن خابت تلك الآمال في تلك الأفكار، ولم تحقق غير المزيد من الحيرة والتيه والفشل والهزائم. فاتجه الآن إلىٰ الإسلام، وأقبل علىٰ العبادة، وارتياد المساجد. ورأينا الشباب المثقف الواعي يتهجد بالليل، ويصوم بالنهار، ويرتل القرآن في الفجر، وهجر الرذائل والشهوات، وأقبل علىٰ قراءة الكتب الإسلامية.

لا ريب أن هٰذا مكسب عظيم للإسلام، ولٰكن الذي نخشاه هو النكسات، أو أن تتوقف الصحوة عند نوع من التدين والتصوف والانصراف عن الحياة، فيستولي أعداء الإسلام علىٰ مقدرات المسلمين، فيتحكمون فيهم، فلا تؤتي الصحوة ثمارها.

ومما يجعلنا نتخوف علىٰ مستقبل الصحوة أيضاً، انشغال كثير من الشباب المسلم بالخلافيات دون مراعاة فقه الخلاف، ولا كيف يتعامل معها، فيقع الغلو والفرقة والتشرذم والانشقاق في صفوف دعاة الإسلام، ولا أضر علىٰ الإسلام من ذٰلك.

فجدير بشباب الصحوة أن يحافظوا علىٰ هٰذا

المكسب العظيم، ويهتموا بالعلم ويصدقوا في العمل، حتىٰ لا يكونوا من أهل الأماني الكاذبة. وصدق الله إذ يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء].

سورة المائدة

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

عندما قدم رسول الله ﷺ من المدينة علىٰ رأس جيش المسلمين قاصداً مكة لفتحها، وإزالة الشرك منها، ورفع راية الحق والإسلام، وانهزم المشركون، ولم يعد أمامهم إلا التسليم، دخل مكة راكباً ناقته وعلىٰ رأسه المغفر. فلم تأخذه نشوة النصر ولا أبهة السلطة. فقد كان خافضاً رأسه حتىٰ كاد يلتصق بمقدمة الرحل تواضعاً لله سبحانه وتعالى الذي هيّأ له النصر وامتن عليه بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح]. وعرّج رسول الله ﷺ علىٰ بيت أم هانئ واغتسل وصلىٰ ثماني ركعات شكراً لله تعالىٰ علىٰ نعمة النصر. وفي بيت أم هاني هٰذا اختبأ بعض المشركين مستجيرين بها فأجارتهم. وما كان العرب يعتبرون جوار المرأة، فهمّ بعض المسلمين بقتلهم، فاعترضت أم هانئ وشكت إلىٰ رسول الله ﷺ. فقال

الرسول ﷺ: «لقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ». فرفع بذٰلك من مكانة المرأة في المجتمع الجديد حيث أجاز جوار المرأة. ثم توجه ﷺ إلىٰ الكعبة وطلب مفتاحها ليدخل فيها. فدعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ودخل رسول الله ﷺ وصلىٰ ركعتين وأزال الأصنام منها وهو يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. ثم طلب علي أن يبقىٰ مفتاح الكعبة عنده، وأن يجمع لهم الحجابة مع السقاية، ولٰكن رسول الله ﷺ رفض ذٰلك وقال: «هٰذا يوم بر ووفاء»، وأنزل الله في ذٰلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء]. فأعاد رسول الله ﷺ المفتاح إلىٰ عثمان بن طلحة وكان لا زال علىٰ الشرك، وأسلم بعد أن رأىٰ من موقف رسول الله ﷺ. وقال الرسول ﷺ للمشركين الذين حاربوه وقاوموه وكادوا له قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ما عدا نفراً منهم، فقد كان جرمهم لا يحتمل العفو[1].

فما الذي نستخلصه من هٰذه المواقف العظيمة؟ وماذا يجري في عالمنا اليوم؟

---

(١) راجع في ذٰلك: «سيرة ابن هشام» (٥/ ٦٣ ـ ٧٤)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (٣/ ٥٤٩ ـ ٥٧١)، وغيرهما.

إن رسول الله ﷺ وهو قائد المسلمين ورئيسهم وقد دخل مكة فاتحاً وكل السلطات بيده، لم يزده ذلك إلا تواضعاً لله وخشوعاً له. فلم يدخل علىٰ خيل مطهمة سالاً سيفه ولا نافخاً أوداجه ملوحاً بيده للجماهير وهي تصفق عاش فلان! يحيىٰ فلان!

وكما فعل رسول الله ﷺ ما فعل وهو يفتح مكة، فعل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دخوله إلىٰ الشام، وكان قادراً علىٰ البطش والتنكيل، فأبىٰ إلا أن يلتزم بالتواضع والبساطة رضي الله عنه، وقال: إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقلّ الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله[1]. فالإسلام هو دين العزة والكرامة، ولٰكنه يرفض الغرور والمظاهر الفارغة كما يرفض الظلم والجبروت. فلم يكن لأي أحد في الإسلام حتىٰ ولو كان رسول الله أن يستحوذ علىٰ حق أحد، حتىٰ لو كان هٰذا الحق مفتاح الكعبة التي هي بيت الله، ليس له أن ينزعه ممن اكتسب هٰذا الحق ليسلمه لأحد أقاربه وأعوانه. إنه مبدأ حاسم وفاصل في الإسلام، لم يترك لاجتهاد مجتهد ولا فتوىٰ مفتي ولا لمجلس شورىٰ ولا لمجلس شعب ولا لمجلس أمة ولا لكبير ولا لصغير، إنه أمر إلٰهي بات قاطعاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا

(١) راجع: «البداية والنهاية» (٧/ ٧٠).

﴿حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء]. إن كل من يخل بهـٰذا المبدأ إنما يقوّض أمر الله مهما خلق من معاذير ومبررات.

وقد لفت رسول الله ﷺ يوم الفتح نظر الناس إلىٰ حقيقة هامة وهي أن الله أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، وأن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب. وكذلك فعل في حجة الوداع عندما وضع ثارات الجاهلية كلها ومنازعاتها في الدماء تحت قدمه، وأول دم وضعه هو دم قريبه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ووضع ديون الربا، وأول رِباً وضعه ربا عمه العباس[1]، وبذٰلك منع استغلال الإنسان للإنسان وتحكم رأس المال.

فهل يا ترىٰ أن أهل الثورات والانقلابات في هـٰذا العصر عندما يغيرون الأوضاع يبدأون بأقاربهم؟ أو أن أول عمل يقومون به هو الانتقام لأنفسهم، ويستولون علىٰ حقوق الناس باسم التأميم وإنصاف العمال والكادحين، ثم تذهب إلىٰ الأعوان والأقارب تحت ستار المؤسسات العامة وتقديم أهل الثقة علىٰ أهل الخبرة؟

ونحن إذ نطالب بحكم الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية، فذٰلك من أجل تحقيق العدل وإقرار المساواة؛ لأن ذٰلك هو الإسلام. ولا نطالب بتطبيق الحدود لتقام

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٩)، وغيره.

علىٰ الضعفاء ويعفىٰ منها الأقوياء، بل نريد واقعاً يتمثل في قول رسول الله ﷺ: «**وَايْـمُ الله! لَـوْ أَنَّ فَـاطِـمَـةَ بِـنْـتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[1]. إن هـٰذا القول يمثل أبلغ رد علىٰ أولـٰئك الذين يتصورون أن في إمكانهم أن يعتنقوا أفكار الجاهلية، وفي نفس الوقت يدّعون الإسلام. لقد تصور ذٰلك قبلهم نفر من قريش الذين أهمهم أمر المرأة المخزومية التي سرقت فوسطوا أحب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ليشفع لها في إسقاط الحد عنها، فسمعوا من رسول الله ﷺ الرد الحاسم الذي أعاد إليهم صوابهم، موضحاً لهم أن قوة المجتمعات إنما تبنىٰ علىٰ العدالة، وأنها تفنىٰ إذا تخلت عن العدالة حيث قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدّ**»[2].

إن الجاهلية والإسلام لا يجتمعان، والكفر والإيمان لا يجتمعان، والعدل والظلم لا يجتمعان، والحق والباطل لا يجتمعان، وليس هناك ثدي يكون نصفه ماء ونصفه لبن، ولا مجال للأهواء في دين الإسلام. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٨٨)، ومسلم برقم (٤٥٠٥).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٢٨٨)، ومسلم برقم (٤٥٠٥).

فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون:٧١]. وطالما حذر القرآن من اتباع الأهواء؛ لأن الهوىٰ هوان وعاقبته وخيمة قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد]، وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

إن عدم الاستجابة لحكم الله ورسوله برفض تطبيق شريعة الله في أرضه، وتبديلها بالقوانين الوضعية، إنما هو اتباع للهوىٰ وهو الكفر بعينه قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

وإذا كان بعض المسلمين يرىٰ قِصر الشريعة الإسلامية علىٰ الأحوال الشخصية، فإن هٰذه فتنة حذّر الله منها ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة:٤٩]. فقد فتنهم شيطان الاستعمار، وحسّن لهم قوانين السكسون والرومان واللاتين. ولا يشك أحد أن قصر اختصاص الشريعة علىٰ الأحوال الشخصية هي فكرة استعمارية؛ لأن أكثر البلاد الإسلامية كانت تحت سيطرة الاستعمار الغربي. ولما أرادت الشعوب أن تتخلص من الاستعمار وتحظىٰ باستقلالها، أبىٰ الاستعمار إلا أن

يتشبث بنفوذه الثقافي والقانوني بعد أن انتهىٰ نفوذه العسكري والسياسي، وهو يريد عن طريق هـٰذا النفوذ أن يستعمر العقول، وأن تبقىٰ الشعوب تحت هيمنته إلىٰ الأبد. وقد مارس كل الضغوط من أجل ذلك، وأوهم الدول أن لا طريق لتقدمها وتحضرها إلا بالأخذ بالقوانين الغربية، فهي الوحيدة التي ستحقق ما يصبون إليه من تقدم ورقي. ولهـٰذا أبقت تلك الدول قوانين الغرب وتبنتها ووضعت عليها عناوين وطنية. ولـٰكن هـٰذه القوانين فشلت في تحقيق العدالة كما فشلت في القضاء علىٰ الجرائم؛ لأن هـٰذه القوانين ليست متفقة مع طبيعة هـٰذه الشعوب ولا منسجمة مع معتقداتها. فهي في الواقع قوانين وعادات أمم أخرىٰ. وعلىٰ الرغم من التعديلات والإضافات والترقيعات التي يجريها القائمون عليها بين الحين والآخر، فلم تحل المشكلة بل ازدادت تعقيداً، ولذٰلك رأينا الشعوب الإسلامية تتململ تحت هـٰذه القوانين ولم تقبلها، وأصبحت لا تريد بشريعة الإسلام بديلاً، فهي تسعىٰ جاهدة للعودة إلىٰ أصالتها.

ولا يخفىٰ أن القوانين المرتبطة بالعقيدة والدين لها هيمنة وسلطان علىٰ النفوس، بخلاف القوانين المرتبطة بتقاليد وعادات أمم أخرىٰ، ذٰلك كمن يلبس ثوباً غير ثوبه فلا بد أن يتعثر فيه، وقد يسقط علىٰ الأرض بسببه.

وبحمد الله فقد انكشفت الخدعة الاستعمارية ولم تعد تنطلي علىٰ الجماهير المسلمة، فالاستعمار هو الذي تبنّىٰ هـٰذه الفكرة ورسخها في مستعمراته التي يجمع فيها بين الجنسيات المتباينة، ويعطي الأجانب حقوقاً تسمو علىٰ حقوق المواطنين. فإذا كنا نطالب بتطبيق الشرع الإسلامي في الأحكام، فذٰلك لأن الشريعة الإسلامية هي الكفيلة بتحقيق العدالة.

إننا نناشد الشباب المسلم وخاصة الذين قد تخرجوا سابقاً من كليات الحقوق بأن يُقبلوا علىٰ دراسة شريعتهم ويقووا صلتهم بها، فإن العقلية القانونية التي اكتسبوها بممارستهم ودراستهم للقوانين تجعل منهم فقهاء جيدين وقضاة ممتازين. فإذا خلصت النيات وقوي العزم تحقق كل أمل منشود بإذن الله، وكل من سار علىٰ الدرب وصل.

ويجب أن نعلم أن التقدم والحضارة ليس في اتباع الشرق والغرب، وإنما هو باتباع منهج الله وحده، والله الذي خلق الخلق يعلم ما يضرهم وما يصلحهم ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]. وأن كل حكم يخالف حكم الله ورسوله، هو حكم الجاهلية. قال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]

غريب أمر هٰؤلاء الذين ظهروا في هٰذا الزمن، يدّعون العلم والمعرفة بالتاريخ والثقافة، ثم يتناولون موضوعات لا يفقهون فيها شيئاً، ويتطاولون علىٰ العظماء وصفوة الخلق.

يا لله العجب من هٰؤلاء الذين فقدوا الإحساس بمشاعر الآخرين، وتنكروا للحق وعاشوا مغرورين بما وفرته لهم حياة الترف.

وصدق أبو الطيب عندما قال:

فَالمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفائِسٌ والمستغرُّ بما لديه الأحمق

فهٰؤلاء من حماقتهم أصبحوا لا يأبهون بما يقولون من سوء القول في حق من يجب احترامهم عقلاً وديناً، فأرادوا أن يتباهوا بأفكارهم الفاسدة في الصحف وأجهزة الإعلام، واعتبروا ذٰلك نجاحاً لهم في الحياة وفي خدمة البشرية.

أما العظماء ومن اصطفاهم الله من الأنبياء

والمرسلين الذين أخرجوا الناس من الظلمات إلىٰ النور فهم الفاشلون في نظرهم.

رحماك يا رب. اللهم لا تؤاخذنا بما يفعل السفهاء منا.

غريب وعجيب أن يأتي أستاذ في جامعة ووزير تربية سابق في بلد عربي، ويتهجم علىٰ رسول رب العالمين، الرحمة المهداة للبشر أجمعين، وينتقصه بأن ينسب الفشل إليه.

إن كل مسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً لا يستطيع أن يتحمل سماع مثل هٰذا السباب والتنقيص في حق رسول الله ﷺ.

والزعم بأن هٰذا الأمر قد يكون زلة لسان غير مقبول. فاللسان عنوان الجنان، وزلة اللسان أو زلة القلم لا تكون بهٰذه الطريقة، ولا بهٰذا الأسلوب الذي ينبئ عن اعتقاد فاسد.

إن أمثال هٰؤلاء الذين يدّعون الثقافة والمعرفة، والذين أخذوا ثقافتهم من كتب المستشرقين المتعصبين، هٰؤلاء لا يقرأون في كتب المنصفين من المستشرقين. فلو قرأوا بتجرد لوجدوا أن هناك من يعترف بنجاح الرسول ﷺ في دعوته بمكة والمدينة.

ونحن هنا ننقل لهم بعض أقوال هٰؤلاء المستشرقين

لا من باب الاحتجاج بها، ولٰكن من باب إثبات أن هناك من الغربيين من هو أحسن من هٰؤلاء المغرورين بثقافتهم، والمنتسبين إلىٰ العروبة والإسلام.

فهٰذا الأديب الروسي تولستوي: يقول: لا ريب أن هٰذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدىٰ أمة برمتها إلىٰ نور الحق، وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدم وتقديم الضحايا. ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهٰذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً. ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال[1].

ويقول اللودر هدلي: فكل صفات الصبر والثبات والحلم والصدق كانت ترىٰ في خلال الثلاثة عشرة سنة أثناء جهاده في مكة، هٰذا ولم تتزعزع ثقته بالله تعالىٰ، وأتم كل واجباته بشمم وشهامة.

وقال: كان ﷺ مثابراً في عمله لا يخشىٰ لومة لائم. وقد أثارت تلك الشجاعة إعجاب واحترام الكافرين، وأولٰئك الذين كانوا يحاولون قتله. ومع ذٰلك فقد انتبهت مشاعرنا وزاد إعجابنا له في حياته الأخيرة

(١) «لماذا تكرهون محمداً؟ ومحمد يحب المسيح صلوات الله وسلامه عليهما». ليوسف بن إبراهيم الجاسر: (٦٩).

عندما كانت له القوة والقدرة علىٰ الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر، ولم يفعل من ذٰلك شيئاً بل عفا عن كل أعدائه.

وقال: تلك الأخلاق التي أظهرها النبي الكريم أقنعت الكافرين بأن حائزها لا يمكن إلا أن يكون مرسلاً من عند الله، وأن يكون رجلاً هادياً إلىٰ الصراط المستقيم.

وقال: هو ذو أخلاق متينة وشخصية بارزة حقيقية وزنت واختبرت في كل خطوة من خطىٰ حياته، ولم ير فيها أقل نقص أبداً.

وبما أننا باحتياج إلىٰ نموذج كامل يفي بحاجاتنا في معترك هٰذه الحياة، فحياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة.

وقال: وقد وصل محمد إلىٰ أعظم قوة، وأتىٰ إليه مُقَاوموه، ووجدوا منه رحمة لا تُجَارَىٰ، وكان ذٰلك سبباً في هدايتهم[1].

هٰذا من كلام مستشرق أثرت فيه سيرة محمد ﷺ فاعتنق الإسلام. وغيره كثير مثل (اثينن دينيه) الفرنسي والذي ألف كتاباً بعنوان: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

---

(١) مجلة «المنار» (٢٩/ ٣٤٤) وما بعدها بتصرف.

ومع الأسف أن بعض أبناء جلدتنا يتنكرون لهٰذا النبي الكريم الذي شرف الأمة ورفع مكانتها بالإسلام، ووضع أسس العدالة في العالم. ومن المؤسف أن هٰؤلاء المنحرفين يتضامنون ويقولون: لا أحد يزايد علينا. ويصرون علىٰ انحرافاتهم الفكرية، ويدّعون الانتماء إلىٰ الإسلام وهم يحاربونه بأفكارهم ويتمادون في غرورهم.

وإذا ذُكِّر أمثال هٰؤلاء بالله وعذاب الآخرة، أعرضوا واستنكفوا وأصروا. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

يقول الإمام القرطبي عند تفسيره لهٰذه الآية: هٰذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهواً، ويكره للمؤمن أن يوقعه الحرج في بعض هٰذا. وقال عبد الله ـ أي ابن مسعود ـ: كفىٰ بالأمر إثماً أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك. مثلك يوصيني؟![1].

ويقولون: إنكم تكفِّرون الناس!!. إننا لا نكفر أحداً من المسلمين أبداً. لٰكن ماذا نعمل إذا كان هٰؤلاء يقعون في الكفر الصراح المجمع عليه بين أئمة الإسلام؟

فسب النبي ﷺ وانتقاصه كفر صريح مجمع عليه.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ١٨ ـ ١٩).

قال القاضي عياض: اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرّض به أو شبهه بشيء علىٰ طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له، فهو سابٌ له. والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلاً من فصول هـٰذا الباب علىٰ هـٰذا المقصد، ولا يمترىٰ فيه تصريحاً كان أو تلويحاً، وكذٰلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنىٰ مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه علىٰ طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيّره بشيء مما جرىٰ من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهـٰذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوىٰ من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلىٰ هلم جرا..... قال محمد بن سحنون: أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة قتل ومن شك في كفره وعذابه كفر[1].

وكما عصم الله رسوله ﷺ من محاولات الاغتيال في حياته، عصمه أيضاً من محاولات الطعن فيه بقصد

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» للقاضي عياض (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٦).

التأثير علىٰ دعوته. فالذين قالوا: إنه ساحر وإنه كذاب لم يفلحوا في التأثير علىٰ الآخرين الذين اتبعوه.

وكذٰلك الذين يقولون اليوم: إنه ﷺ فشل أو لم ينجح في دعوته، قبحهم الله، فلن تتجاوز أقوالهم تراقيهم، ولن تتجاوز أقلامهم الصحف المشبوهة التي تنشر لهم هٰذه الترهات. فقد عصمه الله وعصم دعوته من كل المؤثرات والمحاولات المغرضة. وصدق الله القائل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة]

هناك هجوم علىٰ الإسلام وعلىٰ رسول رب العالمين الصادق الأمين وعلىٰ القرآن الكريم. ومن ذٰلك ما حصل من بعض أجهزة الإعلام في الغرب وخاصة في الدنمارك الذي أثار ضجة بين المسلمين.

وقد احتج علىٰ دولة الدنمارك العلماء وغيرهم، واعتبروا ذٰلك من الإهانة للإسلام والمسلمين، وأن كل ما قيل في الصحافة والفضائيات كذب وافتراء قصد به الإساءة إلىٰ أُمة الإسلام. والواجب علىٰ الدول الإسلامية كافة ـ إن كانت إسلامية بحق ـ أن تراقب هٰذه الحملات المغرضة التي وراءها الصهاينة، وأن ترد علىٰ أولٰئك المتجنين علىٰ الإسلام ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وتتصدىٰ لهم بالقول والفعل حتىٰ يرتدع المفترون والظالمون في كل مكان. ومن يسكت عن هٰذا المنكر فهو مسؤول أمام الله أحكم الحاكمين. فيجب أن يكون المسلمون أشداء علىٰ الكفار المعتدين كما كان محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

إن الواقع يكذبهم في كل ما يقولونه عن سيد الأولين والآخرين. ونقول لهٰؤلاء: من الذي بلغ مستوىٰ نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ في الأخلاق الفاضلة علىٰ مر الزمان؟ فقد كان خلقه القرآن، وشهد له التاريخ أنه لا ينتقم لنفسه ولا يغضب إلا لله، وكان أصدق الناس قولاً وفعلاً، وأوفاهم ذمة، وأرحمهم وأكرمهم عشرة، وألينهم عريكة، يقابل السيئة بالحسنىٰ، ويعفو ويصفح، لا يتصف بشدة ولا غلظة، ولم يكن فاحشاً ولا لعاناً، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بالقول الحسن، ليس بفظ ولا غليظ، كان يحترم جاره، ويكرم ضيفه، وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، يغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويعود المريض، والقوي والضعيف عنده في الحق سواء، يمزح ولا يقول إلا حقًّا وصدقاً، وكان أكثر الناس تواضعاً، ويكره أن يقوم الناس له. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذٰلك[1]. وكان عليه الصلاة والسلام لا يتميز عن أصحابه في ملبس أو مجلس، فيدخل الأعرابي فيقول: أيكم محمد؟ قال الله تعالىٰ:

---

(١) رواه أحمد برقم (١٢٣٦٧)، والترمذي برقم (٢٧٥٤)، وغيرهما، وصححه الألباني.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. واجتمعت له مكارم الأخلاق قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١][1].

أرسله الله رحمة للعالمين، ودعا الناس عربهم وعجمهم إلىٰ ما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

ومن الهجوم علىٰ الإسلام اليوم، وهو من أعظم المنكر المطالبة بتغيير المناهج الدينية الصحيحة في المدارس في البلاد العربية وبعض بلاد المسلمين. فقد كتب أحد الكتاب في إحدىٰ البلاد العربية في الصحف، وطالب بإبعاد القرآن عن المناهج وقال: لا بد أن تكون الموسيقىٰ بدلاً من القرآن!!!. وقدم اقتراحاً إلىٰ وزارة التربية بذلك، وكتبت إحدىٰ الصحف اقتراحه تحت عنوان: لماذا يكره الكاتب والللبراليون القرآن الكريم؟ ومما جاء في رسالة الكاتب هٰذه العبارات: وأرىٰ أن الموسيقىٰ وتنمية الذوق الفني أهم من تحفيظ القرآن ودروس الدين. وبصراحة لا أريد لابني أن يجود القرآن،

---

(١) لمعرفة أدلة ما سبق والاستزادة عن صفاته ﷺ وأخلاقه راجع مثلاً كتاب: «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي.

كما لا أريد له مستقبلاً محتملاً في سلك الإرهاب الفكري والمادي. انتهىٰ كلامه بحروفه.

فماذا نقول بعد هـٰذه الجرأة علىٰ الدين؟! وإذا غضب الغيورون من ذٰلك ودفعتهم الغيرة إلىٰ أن يتقدموا بدعوىٰ حسبة ضد هـٰذا الشخص يأتي من ينتقد أولـٰئك بحجة الحرية!!. أليس للحرية حدود؟ وهل يمكن أن يفتح باب الحرية للجريمة والفساد والانحراف؟ إن هـٰؤلاء ينطبق عليهم قول الله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

إن المسلم لا يمكن أن يطالب بحذف القرآن من مناهج المدارس وإبداله بالموسيقىٰ لكونه لا يريد ابنه أن يجود القرآن!!!، لكي لا يكون له مستقبل محتمل في سلك الإرهاب الفكري أو المادي. ومثل هـٰذا الكلام محاولة للتضليل بلا شك.

إن تعليم القرآن للناشئة هو منهج الأمة من لدن رسول الله ﷺ إلىٰ يومنا هـٰذا، وسيظل كذٰلك ما بقي القرآن، لا يعترض علىٰ ذٰلك إلا كافر أو زنديق.

ومن العدوان علىٰ الإسلام ما حصل في هـٰذه الأيام من بعض الاستراليين في مدينة سدني بأستراليا علىٰ امرأة مسلمة متحجبة، حيث نزعوا حجابها بقسوة.

والواقع أن محاربة حجاب المرأة المسلمة قد عمّ

حتىٰ في البلاد العربية. والمفروض أن تلتزم كل النساء المسلمات بالحجاب، ولا تتعرىٰ كما يشاهد الآن في الفضائيات، حيث تكشف عن صدرها ورأسها، وذٰلك محرم عليها بإجماع المسلمين. فلماذا تخالف أمر ربها، وتعرض نفسها للحساب والعقاب؟ والله تعالىٰ يقول: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور].

ثم ما هو الضرر من الحجاب؟ فالحجاب لا يمنع المرأة المسلمة أن تؤدي كل أعمالها وتظهر محتشمة محترمة.

ومع الأسف أن الصحافة أصبحت الآن تتنافس في نشر الصور الخليعة التي لا تسر إلا الشياطين ومن علىٰ شاكلتهم من شياطين الإنس وتجار الجنس، وأن المجتمعات الآن في البلاد العربية وبلاد المسلمين في

حاجة للأُولي البقية وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود]. وهٰؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون في الناس، ولقلتهم في الناس سموا غرباء. قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ؛ فطوبىٰ للغرباء». قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»(١).

فيجب أن يتخلص المسلمون من الفترة الانهزامية التي يحاكون فيها الغرب في الزي واللباس والمظاهر الاجتماعية، وعدم الخضوع للشبهات والشهوات، وأن يتواصوا بالحق، ويأمروا بالمعرف وينهوا عن المنكر، حتىٰ لا يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

---

(١) رواه أحمد برقم (١٦٧٣٦) عن عبد الرحمٰن بن سنة بإسناد ضعيف كما قال الأرناؤوط، ورواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» برقم (٢٨٨) عن عبد الله بن مسعود بإسناد صححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٢٧٣)، وكذا رواه غيرهما، وأصل الحديث في «صحيح مسلم».

سورة الأعراف

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

الإسراف هو مجاوزة الحد. ولٰكن إذا كان في أوجه الخير فهل يعد إسرافاً؟ قال مجاهد: لو أن للإنسان مثل جبل أبي قبيس ذهباً ثم أنفقه في حل ما عُدّ سرفاً، ولو صرف درهماً واحداً في معصية يعد سرفاً[١].

وقال بعضهم: لا سرف في الخير[٢]. لٰكن القرطبي ضعّف هٰذا المعنىٰ وردّه لحديث ثابت بن قيس بن شماس الآتي[٣].

وفي الجملة ينبغي للإنسان ألّا يتجاوز الحد، ويكون معتدلاً في كل شؤونه. فبعض الناس تأخذهم الأريحية

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم»: (٥/ ١٣٩٩).

(٢) ينسب هذا القول إلىٰ حاتم الطائي كما في «مفاتيح الغيب» للرازي (١٣/ ١٧٦). ونُسِب إلىٰ مجاهد كما في «مفاتيح الغيب» أيضاً (٢٠/ ١٥٥). ونسبه بعضهم إلىٰ الحسن بن سهل وزير المأمون. ونسبه بعضهم إلىٰ المأمون.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ١١٠).

فيرون كثرة غلتهم فيبذلون الكثير، مثلما عمل ثابت بن قيس بن شماس، حينما جَدَّ نخلاً فقال: لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته. فأطعم حتىٰ أمسىٰ وليست له ثمرة. فقال الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[1].

فالإسلام لا يحرم صرف الأموال والإنفاق في الوجوه غير المحرمة. فالمسلم له أن يتمتع بما رزقه الله، ويتزين ويأكل ويشرب وينفق في الأمور الحلال والمباحة شرعاً. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]. وأن الذي عليه هو ألّا يتجاوز الحدود، وأن يبتعد عن المحرمات، كما أن عليه ألّا يكلف نفسه بالديون من أجل الظهور والتفاخر بالمظاهر.

(١) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ١٧٤).

سورة الإسراء

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

أسرىٰ الله ﷻ بعبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام بمكة إلىٰ المسجد الأقصىٰ بالشام. ولا شك أن في هٰذا تكريم لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام. وقد أسبغ عليه سبحانه من بحار الفيض والإمداد ما جعله يتمكن في مدة وجيزة أن يكشف عن طريق المعاينة كثيراً من آيات الله وعجائبه في أرضه وسمائه.

فبعد أن أسرىٰ به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، عرج به إلىٰ سدرة المنتهىٰ إلىٰ حيث شاء الله رب العزة والملكوت.

وقد ذكر الله في الآية الإسراء صراحة ولم يذكر المعراج، ولٰكن ذكر لنا ما يستلزم صعوده وارتقاءه كما في سورة النجم. وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن

النبي ﷺ في الإسراء وذكر تفاصيل ما رأىٰ، وأنه أُسري به إلىٰ بيت المقدس، ثم عرج به من هناك إلىٰ السماوات حتىٰ وصل إلىٰ ما فوق السماوات العلىٰ، ورأىٰ الجنة والنار والأنبياء علىٰ مراتبهم، وفرض الله عليه الصلوات خمسين. ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسىٰ الكليم عليه السلام حتىٰ صارت خمساً في الفعل وخمسين في الأجر والثواب. وحاز من المفاخر تلك الليلة هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل. وذكر الله رسوله هنا وفي مقام الإنزال للقرآن ومقام التحدي بصفة العبودية؛ لأنه إنما نال هٰذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء]

علىٰ المسلم أن يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها، قال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة]. وإذا ترك المسلم الصلاة مع إقراره بها، فإنه يكفر عند بعض الأئمة. قال تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾ [المدثر] وعن جَابِر قال سَمِعْتُ النَّبِيّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»[1].

وللصلاة فوائد كبيرة لصحة الإنسان، وكما قال كثير من الأطباء: في الصلاة صحة ووقاية من الأمراض. وعلماء الأحياء ورجالات الطب والصحة في عصر الذرة والكهرباء والعلم يكتشفون كل يوم جديداً عن فوائد الصلاة الجسمية وثمراتها الصحية، وذٰلك مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت].

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٦)، وأحمد في «المسند» برقم (١٥٠٢١)، وأصحاب السنن.

ولا شك أن المسلم إذا حافظ علىٰ الصلاة اتصف بكل خير، ووفقه الله في جميع أعماله، ورزقه الصحة والعافية، وحماه من الأمراض الخبيثة، وإذا حافظ عليها في أوقاتها وهبه الله قدرة علىٰ العمل والنشاط في الحياة.

ولصلاة الفجر خصوصية في وقتها، فالجو كما يقول العلماء المختصون: فيه قوة للإنسان بما يسببه في وقت الفجر حيث يمتلئ بأعلىٰ نسبة من غاز الأوزون الذي له تأثيرات مفيدة علىٰ الجهاز العصبي والمشاعر النفسية، وينشط العمل الفكري والعضلي، والأشعة فوق البنفسجية تزيد وتساعد الجلد علىٰ صنع فيتامين (د). وللصلاة إيقاع في الحس عند مطلع الفجر مما يميز المسلم المحافظ علىٰ صلاة الفجر.

وقد أمر الإسلام بالمحافظة علىٰ الصلوات الخمس جميعها، وجاء في الأحاديث الشريفة أن صلاة الصبح وصلاة العصر وصلاة العشاء لها فضل أكثر. قال ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1] والبردان الصبح والعصر. وقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا». يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْر[2]. وقال: «مَنْ صَلَّىٰ صَلَاةَ

(١) رواه البخاري برقم (٥٤٨)، ومسلم برقم (١٤٧٠).

(٢) رواه مسلم برقم (١٤٦٨)، وأحمد في «المسند» برقم (١٧٢٥٩)، وغيرهما.

الصُّبْح فَهْوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ»[2]. وقال ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً»[3] وقال: «تَفْضُلُ صَلَاةُ في الْجَمِيعِ عَلَىٰ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ خَمْساً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». قَالَ: «وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَأوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[4].

وإنما عبر هنا عن صلاة الفجر بقرآن الفجر في الآية دون غيرها من الصلوات؛ لأن القرآن هو أعظمها، إذ قراءتها طويلة مجهور بها حسبما هو مشهور مسطور[5].

---

(١) رواه مسلم برقم (١٥٢٦)، وأحمد في «المسند» برقم (١٨٨٢٥)، وغيرهما.

(٢) رواه مسلم برقم (١٥٢٣)، وأحمد في «المسند» برقم (٤٠٩)، وغيرهما.

(٣) رواه البخاري برقم (٦٢٦)، ومسلم برقم (١٥١٤).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٢١)، ومسلم برقم (١٥٠٥).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

وقوله: ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

فالواجب علىٰ المسلم المحافظة علىٰ إقامة الصلاة في وقتها، وأن يؤديها مع الجماعة الأولىٰ في المسجد، وأن يسابق إلىٰ الصف الأول خلف الإمام، وأن يؤديها بأركانها وسننها وخشوعها، حتىٰ ينال رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

(١) رواه البخاري برقم (٥٣٠)، ومسلم برقم (١٤٦٤).

سورة الأنبياء

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾.

الإسلام دين الرحمة والإحسان والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والراحمون يرحمهم الرحمٰن. ففي الحديث الشريف: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. فما بالك بالذي يرحم الآلاف من المسلمين الذين يتعرضون للمجاعات والأمراض في أنحاء العالم الإسلامي، فيبذل ما يستطيع لمساعدتهم بتوفير ما يلزم لسد حاجاتهم وما تتطلبه ظروف حياتهم الصعبة، ويساهم في الخير استجابة لما أمر الله به وأرشد إليه من إغاثة الملهوف وتفريج كرب المكروبين من المؤمنين؟! والرسول ﷺ يقول: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٣٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٣٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٧).

الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. ويقول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»[2]. ويقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[3].

فإذا أنعم الله علىٰ المسلم بالمال فعليه أن ينظر إلىٰ إخوانه الذين لا يجدون المستشفيات لعلاج مرضاهم، ولا يجدون المدارس لتعليم أبنائهم، فضلاً عن أولـٰئك الذين لا يجدون ما يسدون به الرمق. فكثير من مناطق العالم الإسلامي اليوم تعاني من الفقر والجهل والمرض. فعلىٰ القادرين من المسلمين أن ينجدوهم ويعينوهم علىٰ التغلب علىٰ مشاكلهم، وإنقاذهم مما يعانون، وعليهم أن يطعموا الجائعين، ويعالجوا المرضىٰ ببناء المستشفيات لهم، ويعلموهم ببناء المدارس لأبنائهم.

ويلاحظ أن بعض المحسنين يحصر مساعدته في بناء المساجد، ولا شك أن بناء المساجد في البلاد التي تحتاجها أمر محمود. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٣١٠)، ومسلم (٦٧٤٣)، وغيرهما.
(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٧)، ومسلم برقم (٦٧٥٠)، وغيرهما.
(٣) رواه البخاري برقم (٥٦٦٥)، ورواه مسلم برقم (٦٧٥١) واللفظ له، وغيرهما.

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة]. وقال ﷺ: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً لِلَّهِ تَعَالَىٰ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتاً فِيْ الْجَنَّةِ»[1].

وقد كانت المساجد في التاريخ الإسلامي محلّاً للعبادة والعلم والثقافة والوعظ والإرشاد، بل وتناقش فيها شؤون المسلمين. وقد كانت تبنىٰ بكل بساطة لا زخارف ولا منارات عالية. ومع الأسف نجد المسلمين في عصورهم المتأخرة تنافسوا في الإسراف في بنائها وزخرفتها ونقوشها. ولو أنهم اقتصروا في بنائها علىٰ الواجب والمهم، والتزموا بأحكام الشرع في بنائها، لوفروا مبالغ يمكن صرفها في جهات أخرىٰ تنفع المسلمين. والذي ينبغي أن يعرف أن هناك أولويات في الشرع ينبغي مراعاتها. فإذا كان هناك جياع فلا بد أن تطعمهم أولاً قبل أن تبني لهم مسجداً. وإذا كانت هناك مساجد كافية في بلد والناس في حاجة إلىٰ مستشفىٰ، فالمستشفىٰ أولىٰ من المسجد. وقل مثل ذٰلك في المدارس والمعاهد وغيرها. فالأجر ليس مقصوراً علىٰ بناء المساجد.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٩)، ومسلم برقم (١٢١٧) واللفظ له، وغيرهما.

أن فقه الأولويات في الإسلام يقتضي التفكير في هٰذه الأمور. ولذٰلك قرر الإمام ابن القيم رحمه الله عندما تحدث عن العبادات وأفضلها بأنه لا يوجد أفضل بإطلاق، وأن أفضل العبادة العمل علىٰ مرضاة الرب سبحانه في كل وقت بما هو مقتضىٰ ذٰلك الوقت ووظيفته[1]. فعند المجاعات يكون إطعام الطعام أفضل، وعندما يغزو الكفار بلداً مسلماً يكون أفضل الأعمال إمدادهم بالمجاهدين والسلاح والمال وكل ما يحتاجونه في جهادهم. وهٰكذا.

فعلىٰ القائمين علىٰ الأعمال الخيرية في العالم الإسلامي التنسيق في العمل بينهم، حتىٰ يحصل التكامل، وحتىٰ تؤتي هٰذه الأعمال ثمارها، وخاصة في البلدان التي تُستهدف من قبل المنصرين. فلولا التقصير من المسلمين ما كان هٰذا العدد الكثير من الكنائس في إفريقيا، ولا دخلت هٰذه الجموع الكبيرة من الأفارقة في النصرانية. فعلىٰ المسلمين تقع مسؤولية نشر رسالة الإسلام، رسالة الرحمة للعالمين التي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال عنه رب العزة والجلال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨٨).

سورة النور

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

عادة المنافقين دائماً في كل زمان ومكان أنهم يحبون إشاعة الفاحشة في حق المؤمنين كما وصفهم الله في القرآن، فينشرون الإشاعات الكاذبة ضد أهل الفضل والعلم والصلاح؛ لأنهم عناصر موبوءة في أخلاقها وشرفها، ويعيشون في حضيض الخسة واللؤم. فإذا رأيت شخصاً يتناول عرض رجل من أهل العلم والفضل بل وعرض أي مسلم كان، أو يشيع عنه ما يسيء إليه، فاعلم أن هـٰذا الشخص منحط الأخلاق، قد تربىٰ في حمأة الرذيلة وبيئة الفجور. فهو لا يطيق أن يرىٰ فضلاء وعظماء يحظون بالاحترام والتقدير؛ لأن همته وسلوكياته في الحياة قد قعدت به من أن ينال مكانتهم أو مقامهم، فهو يريد أن يكون الناس جميعاً في مستواه الأخلاقي والسلوكي. وهـٰؤلاء هم المرجفون المرضىٰ في عقولهم وفي أخلاقهم.

وقد يزين أحدهم تلك الإشاعة فيختلق لها قصة أو قصصاً من خياله المريض مستغلاً ظرفاً من الظروف لتكون أقرب إلىٰ التصديق.

وفي الآية لفتة ينبغي التنبه لها، وهي أن الله تعالىٰ رتّب العذاب بمجرد حب إشاعة الفاحشة في حق المؤمنين، فكيف الأمر بمن تولىٰ أمر إشاعتها؟!

فعلىٰ المسلم ألّا يتلقف أي خبر في عرض أخيه ويذيعه ولو كان حقًّا، فكيف إذا كان باطلاً[1]؟!. قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور]. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات]. وفي الحديث: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[2].

فالخبر الذي يصلك وفيه إساءة إلىٰ أحد من أهل الفضل فاعلم أن وراءه أغراضاً خسيسة من نفوس مريضة؛ لأن أهل الأغراض السيئة كالخفافيش حلفاء الظلام،

---

(١) نعم إذا تأكد من صحته فيناصحه سراً.

(٢) رواه مسلم برقم (٧)، وأبو داود برقم (٤٩٩٢)، وغيرهما.

وأولٰئك العلماء والفضلاء يسلطون أنواراً كاشفة علىٰ دياجير الجهل والظلام، فتسطع علىٰ مساحات واسعة، فلا تجد الخفافيش مكاناً لنفسها، فتنطلق لمحاولة تعطيل الأجهزة المسلطة أنوارها علىٰ خباياها هنا وهناك، وتعمل بكل ما تستطيع من قوة للنيل من تلك الأجهزة، لٰكنها أضعف من أن تنال من الشوامخ الشم والنور الباهر المنتشر في الآفاق.

ومن المؤسف أن هناك ضحايا من المغفلين المخدوعين ينجرفون مع هـٰذه الإشاعات، فيشاركون أصحاب تلك النفوس الخسيسة في إشاعة الفاحشة في حق العلماء والفضلاء الحريصين علىٰ هداية الناس وتبصيرهم أمور دينهم، ونحن نقول لمثل هـٰؤلاء: لماذا تكرهون من يحبكم ويحرص علىٰ هدايتكم للخير؟ لماذا تسبون من لا يسبكم وتغتابون من لا يغتابكم وتحقدون علىٰ من لا يحقد عليكم؟ لماذا تجعلون أنفسكم أيادي للأشرار ومطايا للشر؟ لماذا ترضون لأنفسكم أن تكونوا عصاة لرب الأرباب بطعنكم في أعراض عبيده بغير حق؟

ولٰكن مما يسلي نفس المؤمن الذي يتعرض للأقاويل الكاذبة أن الله يزيد في حسناته من حسنات أولٰئك الواقعين في عرضه، بل قد يُؤخذ من سيئاته إلىٰ سيئاتهم. قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـٰذَا وَقَذَفَ هَـٰذَا وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا وَضَرَبَ هَـٰذَا، فَيُعْطَىٰ هـٰذا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهـٰذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

فعلىٰ أهل الحق أن يدفع كل منهم عن عرض أخيه ما استطاع إلىٰ ذٰلك سبيلاً، وذلك من التناصر الذي حثنا عليه ديننا. ففي الحديث أنه ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

---

(١) رواه مسلم برقم (٦٧٤٤)، والترمذي برقم (٢٤١٨)، وغيرهما.

(٢) رواه أحمد برقم (٢٧٥٨٣)، والترمذي برقم (١٩٣١)، وصححه الألباني.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور].

فقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾ أي: لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه.

قال ابن كثير: كل هٰؤلاء المذكورون محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر أمامهم بزينتها، ولٰكن من غير اقتصاد وتبهرج. وقد روىٰ ابن المنذر حدثنا موسىٰ ـ يعني: ابن هارون ـ حدثنا أبو بكر ـ يعني: ابن أبي شيبة ـ حدثنا

عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هـٰذه الآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ حتىٰ فرغ منها وقال: لم يذكر العم ولا الخال لأنهما ينعتان لأبنائهما. ولا تضع خمارها عند العم والخال. فأما الزوج فإنما ذٰلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره.

وقوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: تظهر زينتها أيضاً للنساء المسلمات دون سائر أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن، وذٰلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد[1].

وقال الإمام القرطبي: والجمهور علىٰ أن العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر لهما إلىٰ ما يجوز لهم. وليس في الآية ذكر الرضاع وهو كالنسب علىٰ ما تقدم. وعند الشعبي وعكرمة ليس العم والخال من المحارم. وقال عكرمة: لم يذكرهما في الآية لأنهما تبعان لأبنائهما[2].

وقال ابن عطية: المعنىٰ في هـٰذه الآية ولا يقصدن بذٰلك الإخفاء للزينة الباطنة كالخلخال والأقراط ونحوه، ويطرحن مؤونة التحفظ إلا علىٰ من سُمِّي. وبدأ بالبعولة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ٢٣٣).

وهم الأزواج لأن إطلاعهم يقع علىٰ أعظم من هـٰذا. ثم ثنّىٰ به المحارم وسوّىٰ بينهم في إبداء الزينة، ولـٰكنهم تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر. فلا مرية أن كشف الأب والأخ علىٰ المرأة أحوط من كشف ولد زوجها. وتختلف مراتب ما يُبدىٰ لهم، فيُبدىٰ للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج[1].

وقال أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري: وذهب الجمهور إلىٰ أن العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر إلىٰ ما يجوز لهم. وقال الشعبي وعكرمة: ليس العم والخال من المحارم. قال الكرخي: وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن منهم حذراً من أن يصفوهن لأبنائهم. والمعنىٰ أن سائر القرابات يشترك مع الأب والابن في المحرمية إلا ابني العم والخال. وهـٰذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب. وليس في الآية ذكر الرضاع والنسب[2].

وجاء في كتاب «المرأة في التصور الإسلامي»: أما الأعمام والأخوال وبنوهم فهم كالأجانب حين تلقاهم لا

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية (٤/ ١٧٩).
(٢) «فتح البيان في مقاصد القرآن» لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (٩/ ٢٠٨).

يجوز أن يروا منها شيئاً لا جسمها ولا زينتها؛ لأن الأعمام والأخوال يصفون لأبنائهم ما يرونه من جمال بنات إخوتهم حرصاً علىٰ تحبيبهن إلىٰ قلوب الذكور فيهيجون جنسياً[1].

وفي «التفسير الواضح»: ويلحق بهٰؤلاء الذكور الأعمام والأخوال. وهٰذا الحكم يجري في الأقارب من جهة النسب وفي الأقارب من جهة الرضاع[2].

وفي كتاب «المفصل» للدكتور عبد الكريم زيدان قال: من هم محارم المرأة؟

والجواب: أن محارم المرأة هم الذين لا يحلون لها، أي يحرم عليهم نكاحها علىٰ وجه التأبيد كالأب مثلاً بالنسبة لابنته. وهٰذه المحرمية قد تكون بسبب النسب أو بسبب الرضاع أو بسبب المصاهرة، وهٰؤلاء هم المذكورون في سورة النور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾. وقد قال المفسرون: إن محارم المرأة

---

(١) «المرأة في التصور الإسلامي» لعبد المتعال محمد الجبري (٢٣).

(٢) «التفسير الواضح» للدكتور محمد محمود حجازي (١٨/ ٥٨).

من الرجال بسبب النسب علىٰ ما صرحت به هـٰذه الآية الكريمة أو دلت عليه هم من يأتي:

أولاً: الآباء أي آباء النساء وإن علوا من جهة الذكور والإناث كآباء الآباء وآباء الأمهات. أما آباء بعولتهن فهم من المحارم بالمصاهرة كما نبينه.

ثانياً: الأبناء أي أبناء النساء، فيدخل فيهم أولاد الأولاد وإن نزلوا من الذكور والإناث مثل بني البنين وبني البنات.

أما ﴿أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ في الآية الكريمة فهم أبناء أزواجهن من غيرهن. وهـٰؤلاء محارم بسبب المصاهرة لا بسبب النسب كما نبينه فيما بعد.

ثالثاً: إخوانهن سواء كانوا إخوة لأم وأب، أو لأب فقط أو لأم فقط.

رابعاً: بنو إخواتهن وإن نزلوا من ذكران وإناث كبني بني الإخوان.

خامساً: بنو إخوانهن وإن نزلوا من ذكران وإناث كبني بنات الأخوات.

سادساً: العم والخال وهما من المحارم من النسب. ولم يذكروا في الآية الكريمة لأنهما يجريان مجرىٰ الوالدين وهما عند الناس بمنزلة الوالدين. والعم قد يسمىٰ أباً قال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ

﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة] وإسماعيل مكان العم لبني يعقوب[1].

(١) «المفصل» للدكتور عبد الكريم زيدان (٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

سورة العنكبوت

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

هناك صهاينة وعملاء للصهيونية يتهمون رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام بخيانة العهد في صلح الحديبية. مع أن الثابت أن المشركين هم الذين نقضوا العهد وخانوا المسلمين. والموضوع مشتهر معروف في التاريخ، ولم يقل أحد أن الرسول ﷺ والمسلمين هم الذين نقضوا العهد، حتىٰ المشركين أنفسهم. فكيف يأتي هٰؤلاء في هٰذا الزمن ويدّعون دعاوىٰ كاذبة زائفة؟! كيف ينكث رسول الله ﷺ وأصحابه العهد وكتاب الله الذي أنزله علىٰ رسوله يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل]، ويقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة]، ويقول ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء].

بموجب اتفاقية الحديبية سلّم الرسول ﷺ أبا جندل إلىٰ أبيه المشرك تنفيذاً للاتفاقية، وسلّم أبا بصير للمشركين وأعاده إليهم بعد أن لجأ إلىٰ المدينة، ولم يسمح لأبي بصير بالإقامة في المدينة بعد أن تخلص من حارسيه خارج المدينة، لأن قبوله في المدينة يعتبر خرقاً لاتفاقية الحديبية[1].

ولم ينقض رسول الله ﷺ اتفاقية الحديبية، بل الذين نقضوها هم المشركون من قريش عندما غدروا وهجموا علىٰ حلفائه من خزاعة ونصروا حلفاءهم بني بكر، وكانت الاتفاقية تمنعهم من ذلك، فرموا بالعهد عرض الحائط[2].

فالذي ألغىٰ العهد ونقضه هم قريش في مكة خانوا وغدروا. وكانت خزاعة كحلفائها المسلمين ملتزمين بالعهد.

ولا ندري من أين جاء هٰؤلاء الصهاينة بهٰذه المعلومات التي تقول: إن المسلمين نقضوا العهد؟ لم تقل كتب التاريخ ذٰلك، بل الذي شهد به الواقع أن أهل مكة المشركين هم الذين خانوا العهد ونقضوا صلح الحديبية، وبعد ذٰلك فتح المسلمون مكة.

والآن هٰؤلاء الصهاينة يطالبون بمحو مكة وهدم

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٨٦) وما بعدها.
(٢) «سيرة ابن هشام» (٥/ ٤٣) وما بعدها.

الكعبة، لأن مكة رمز عزة الإسلام، والكعبة قبلة المسلمين.

فهل المسلمون أصابهم الوهن إلىٰ حد استخفاف أعدائهم بهم؟! فهاهم الصهاينة يقتلون النساء والأطفال في فلسطين، وينقضون المواثيق، ويعدون العدة لهدم مقدساتهم. ونحن يأكل بعضنا بعضاً. فأين نحن من عهد الأسلاف الذين وصفهم الله بمثل قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]؟ ونحن في هٰذا الزمن أشداء علىٰ بعضنا رحماء علىٰ غيرنا من الأعداء، واستولىٰ علينا الجبن والخوف. فإلىٰ متىٰ تبقىٰ هٰذه الحال؟ هل ننتظر حتىٰ يعم البلاء بحيث لا نستطيع دفعه؟ فهاهم الصهاينة اليوم يطالبوننا بتغيير المناهج الدراسية في العلوم الإسلامية، وإقفال المدارس الدينية. ثم ماذا بعد ذٰلك؟

لماذا لا نوحد كلمتنا، ونقف أمام هٰذا العدوان متكاتفين، ونبين لهم الحق من الباطل، ونبدد سوء الفهم عند هٰؤلاء، ولا نفرط في حقوقنا التي أولها المحافظة علىٰ عقائدنا ومقدساتنا الإسلامية؟

وإن مما ينبغي أن نشيد به هنا ما جاء في بيان مجمع الفقه الإسلامي الذي عقد بمكة بتاريخ ٢١ ـ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٢هـ عن خطورة الحملات الإعلامية والثقافية علىٰ

الإسلام والمسلمين. فقد جاء في البيان: تابع المجمع الفقهي الإسلامي تصاعد الحملات الإعلامية والثقافية علىٰ الإسلام والمسلمين، وحذر من خطورتها علىٰ المجتمعات الإنسانية وعلىٰ أمن الناس، حيث أنها تسعىٰ بشكل حثيث إلىٰ:

١ ـ دفع المجتمعات الغربية بخاصة لاتخاذ الإسلام عدواً جديداً مكان الشيوعية، وشن الحرب الثقافية علىٰ أصوله وتشريعاته وأحكامه الإلـٰهية.

٢ ـ إثارة النعرات الصليبية لدىٰ الشعوب الغربية، والحث علىٰ ما أسموه وجوب انتصار الغرب علىٰ الإسلام.

٣ ـ إثارة أنواع الكراهية والتمييز العنصري ضد الإسلام والمسلمين، والعمل علىٰ مضايقة الأقليات والجاليات الإسلامية.

٤ ـ الترويج لنظرية صموئيل هنتجتون في صراع الحضارات.

وقد نتج عن هـٰذه الحملات المسعورة إيقاع الأذىٰ بفئات من المسلمين في المجتمعات الغربية، وسجن العديد منهم والإضرار بمساجدهم ومراكزهم الثقافية، مما جعلهم يعانون معاناة قاسية.

والمجمع إذ يدين هـٰذه الحملات المغرضة، ويدين

المغالطات والافتراءات المتعمدة علىٰ الإسلام، فإنه يستنكر إيذاء المسلمين وإيقاع الضرر بمؤسساتهم.

ويذكر المجمع وهو يتابع ما يحدث للمسلمين في الغرب بسبب انتمائهم للإسلام، بأن الإسلام يشجع علىٰ التواصل والتعارف والتعاون بين المسلمين وغيرهم في مصالحهم المتبادلة. قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]. ويعلن المجمع لكافة المجتمعات الإنسانية أن الإسلام رسالة الله ﷻ لجميع الناس كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ].

وقد تميزت رسالة الإسلام بالربط بين الدين والحياة وفق قواعد شاملة ومرنة.

وتحدث البيان عن تكريم الإسلام للإنسان، وأن الجهاد ليس إرهاباً، وأن الإسلام حرم البغي والظلم والفساد، ودعا إلىٰ العدل وأوجبه في التعامل مع الآخرين. قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ولذٰلك يعلن المجمع للعالم أن جريمة قتل النفس الواحدة بغير حق تعادل في الإسلام في بشاعتها قتل جميع الناس، سواء كان قتلاً للمسلم أو لغيره بغير الحق وفق ما هو واضح في قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢].

ومن توصيات المجمع:

١ ـ وجوب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والتحاكم إليهما والرجوع إلىٰ الثقات من أهل العلم؛ لأنهم أهل المعرفة والخشية والورع. قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهم الأقدر علىٰ إرشاد الناس.

٢ ـ وجوب التعاون بين الحكام والعلماء والمؤسسات الإسلامية في معالجة المشكلات، وذٰلك بالرجوع إلىٰ الشريعة الإسلامية ومصدريها: كتاب الله الكريم وسُنَّة نبيه ﷺ. وقد أمر الله بالتعاون فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

٣ ـ تأصيل منهاج الوسطية ومعالجة الغلو الذي ذمه الإسلام، والتقيد بوسطية هٰذا الدين في القول والعمل

والسلوك وفق ما وصف به الله أمة الإسلام فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة:١٤٣].

ومن توصيات المجمع تكوين اتحاد عالمي لعلماء المسلمين، وبذل الجهد لمساعدة الأقليات المسلمة في الحصول علىٰ الحقوق القانونية التي تتمتع بها الأقليات الأخرىٰ، واعتراف الدول التي توجد فيها أقلية مسلمة بالإسلام، وتكوين هيئات إسلامية في كل بلد تمثل المسلمين أمام الجهات الحكومية، والسعي لدىٰ الحكومات والمنظمات الإسلامية من أجل التعاون علىٰ إيجاد قنوات إسلامية، وتكوين فريق من علماء المسلمين للتواصل مع المؤسسات والبرلمانات والحكومات الغربية المؤثرة ولجان حقوق الإنسان.

أقول: إن هٰذه مثل المطالب من قبل رابطة العالم الإسلامي جيدة، ولٰكن الذي يجب أن يكون أولاً هو تحرك الدول لتقوم بالضغط علىٰ المسؤولين في الدول الغربية لتنصف المسلمين وتردع إسرائيل عن وحشيتها.

ومع الأسف، إن القلب ليتفطر عندما يرىٰ الدم الإسلامي أرخص دم علىٰ الأرض استباحه اليهود والنصارىٰ والملحدون. وأما المنافقون الذين يتظاهرون

بالإسلام ويتحكمون في الشعوب، فإنهم يطلقون العنان للمفسدين يعيثون في الأرض فساداً ينهبون ويرتشون علىٰ حساب المصالح العامة، وعلىٰ حساب الفقراء في بلاد الإسلام الذين لا يجدون من يفرج كرباتهم ويدافع عنهم. وحتىٰ أولـٰئك الذين ظهروا في يوم من الأيام يرفعون شعارات الاشتراكية وحق الشعوب في تقرير مصيرها أصبحوا الآن في أحضان الإمبريالية الغربية يبررون مناصرتها للصهيونية وما تقوم به إسرائيل من عدوان وجرائم في فلسطين.

وإذا كنا قد رأينا الكتّاب الصهاينة يتهمون رسولنا عليه الصلاة والسلام بنقض العهد ويتهجمون علىٰ الإسلام، فقد رأينا كتّاباً من أبناء جلدتنا يتمادون في الإساءة مثل الصهاينة، كمثل ذٰلك الكاتب العربي الخليجي الذي كتب كلاماً سخيفاً وهو يجهل التاريخ. ومما جاء في كتاباته: أن محمداً ﷺ فشل في مكة!!!. ولا ندري لماذا اختار هـٰذا الكاتب كلمة الفشل. إن الفاشلين من أمثال هـٰذا الكاتب دائماً يقولون منكراً من القول وزوراً، وعلىٰ رأس هـٰؤلاء الفاشلين أشخاص سيطروا علىٰ الصحافة والإعلام في البلاد العربية عندما كانت الهيمنة للأفكار الشيوعية آنذاك. فأحدهم يقول: إن القيم الجديدة التي ستخلق الإنسان العربي هي نابعة من صلب الإنسان

المتمرد المعذب، نابعة من الإنسان الاشتراكي الثوري الجديد الذي لا يؤمن إلا بالإنسان، والإنسان وحده هو الطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب. وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع والرأسمال والاستعمار وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمىً محنطة في متاحف. إن هٰؤلاء اليوم هم عملاء لأمريكا والصهيونية بعد أن كانوا عملاء للاتحاد السوفيتي والشيوعية.

وفي ذٰلك الوقت تصدّىٰ لهم رجال أمثال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي كشفهم وأخزاهم بالرد القوي الذي أثلج صدور المؤمنين كما في كتابه: «قذائف الحق» جعل الله ذٰلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

سورة ص

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾.

إن المخلصين هم الفائزون. وينسب إلىٰ بعض العارفين: الناس هلكىٰ إلا العالمون، والعالمون هلكىٰ إلا العاملون، والعاملون هلكىٰ إلا المخلصون.

وقد رسمت الآية الطريق للوصول إلىٰ أن يصبح الإنسان مخلصاً وهو ذكر الدار الآخرة. لذا ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الآخرة حتىٰ يكون من المخلصين.

وهناك أناس يتقربون إلىٰ غير الله في عبادتهم وقصدهم فقط نيل الثناء من المخلوقين. وهٰذا هو الشرك الذي يحبط العمل. ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1].

وبعض الناس لا يريدون من أعمالهم إلا الحياة الدنيا كالرئاسة والجاه والمال. وفي هٰؤلاء يقول الله

---

(١) رواه مسلم في «الزهد» (٧٦٦٦)، وابن ماجه برقم (٤٢٠٢)، وغيرهما.

تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَٰخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

والمخلصون من الذين يتولون أمور الناس، هم الذين يحكمون بالعدل ويتجنبون الهوىٰ ولا يولون المناصب إلا من هو أهل لذٰلك ويلتزمون منهج ربهم. وقد قال الله سبحانه لداود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

فلا يجوز أن يتولىٰ الوظائف في أجهزة الدولة إلا المشهود لهم بالنزاهة والكفاءة. ولا يجوز أن يتولىٰ القضاء إلا من عرف بالعلم والنزاهة والإخلاص. وقد قال ﷺ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ في الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ. فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ. وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْم فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»[١].

فلا يتولىٰ الوظيفة إلا من أكرمه الله بالأخلاق

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٥٧٥)، وابن ماجه برقم (٢٣١٥)، وغيرهما، وصححه الألباني.

الحسنة مع الحرص علىٰ العدالة. وهنا يقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «التطرف العلماني في مواجهة الإسلام»: وشيء لا بد منه مع الأخلاق هو أن تسود العدالة. فالمجتمع المتظالم الذي يقدم فيه المنافق المتلون علىٰ القوي الأمين لا يتقدم أبداً. فإن الكفؤ الذي يرىٰ نفسه مؤخراً عن مكانه ولا يُعطىٰ حقه، في حين يأخذ الموالون والمحاسيب ما لا يستحقون. فهٰذا الكفؤ إما أن يتباطأ ويهمل، وإما أن يهاجر علىٰ الرغم من حبه لوطنه.

وأما المفسدون في الأرض الذين يظلمون الناس فلن ينفعهم ما جمعوه من أموال، وسيندمون يوم لا ينفع الندم. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر].

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ونسأله سبحانه أن يرحم الأمة الإسلامية، ويدفع عنها الأعداء، وينصر الإسلام والمسلمين، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

نظرات في سورة الزمر

سميت سورة الزمر بهٰذا الاسم؛ لأنها بينت أن هناك فريقين، فريق أهل النار يذهبون إلىٰ النار زمراً؛ أي: جماعات، وفريق أهل الجنة يذهبون إلىٰ الجنة أيضاً زمراً. قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر].

فكما يذهب أهل النار اليوم إلىٰ شهواتهم ومتعهم ومعاصيهم وجرائمهم زمراً، يذهب أهل الجنة إلىٰ طاعة ربهم وإلىٰ أعمال البر والخير والعبادة زمراً، وكذٰلك يذهب كل فريق يوم القيامة زمراً إلىٰ مساكن إقامتهم الأبدية.

وفي هٰذه السورة دعا الله عباده الذين أفرطوا في المعاصي والمخالفات وجنوا علىٰ أنفسهم بارتكاب المنكرات أن يعودوا إليه وينيبوا إليه ويتوبوا عن ذنوبهم ليغفرها لهم. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر].

فلماذا لا يتدارك هٰؤلاء الذين يعتادون الذهاب في كل صيف زمراً إلىٰ بلدان اللهو والفسق والفجور ليسرفوا علىٰ أنفسهم باللذات والمعاصي وقضاء الشهوات؟

لماذا لا يتداركون أنفسهم قبل أن يأتي يوم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر]؟

لماذا لا ينتهزون فرص الخير ومواسم الطاعات كرمضان والحج، فيغيرون اتجاههم إلىٰ محل الطاعات وغفران الذنوب ومناجاة الرحمٰن، فيلبوا داعي الله فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول؟

لماذا يظلم الإنسان نفسه ويلجؤها إلىٰ أن تقف موقفاً لو أن له ما في الأرض جميعاً لفدىٰ به نفسه من سوء العذاب؟ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر].

نسأل الله أن يتجاوز عن سيئاتنا، ويغفر لنا ذنوبنا، ويرحمنا إنه سميع عليم.

سورة الجاثية

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾.

لماذا تقوم بريطانيا بتكريم سلمان رشدي الذي أهان نبي الإسلام عليه أشرف الصلاة وأزكىٰ التسليم؟ فقد أرسله الله رحمة للعالمين، فأخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وأقام العدل والمساواة بين الناس، فكان ﷺ خير خلق الله جميعاً.

إن من يكرم مثل هٰذا المجرم يعتبر شريكاً في الجريمة.

أين ذهبت عقول الإنجليز وهم يدّعون أنهم عقلانيون وبعيدون عن أهواء الوجدان وعواطف البشر؟ ألا يتذكر كل أوروبي مسيحي العطاءَ الإسلامي الذي نقل الفكر الأوروبي من منهج أرسطو التأملي النظري إلىٰ المنهج الإسلامي التجريبي الذي كان نواة الحضارة المعاصرة؟

إن علىٰ المسلمين أن يتحركوا ضد كل من يسيء

للإسلام أو إلىٰ رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، ويتخذوا الإجراء اللازم مع كل العلمانيين الذين يعادون الإسلام مثل سلمان رشدي وأمثاله من الذين يروجون لبضاعتهم الفاسدة، ومثل ذٰلك الذي تحدث عن مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، وحاول اختراع قاعدة من عقله القاصر علمياً ومعرفياً فيقول: إن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة قامت علىٰ نص، والنص لا يمكن أياً ما كان نوعيته أن ينشئ حضارة أو يقيم علوماً، وأن لا قدسية للنص القرآني.

وآخر يقارن الفكر الإسلامي بالفكر المسيحي واليهودي، ويحاول أن يثبت أن الفكر الإسلامي فكر متخلِّف مقارنة بالفكر المسيحي واليهودي بعد تجديدهما بالثورة الفرنسية والثورة الصناعية التي اجتاحت الغرب، وفصلت الدين عن الدولة. ولذٰلك قال الأستاذ عمر عبد الله في تعليقه علىٰ هٰذه المقارنة التي ارتكبها الكاتب بأنها: جريمة مقصودة لتحقيق الهدف الأبعد ضد الدين الإسلامي والسُّنَّة والفقه. وهو في تلك المقارنات يتجاهل الأسس العلمية التي يعلم تمام العلم أنها سوف تقوده إلىٰ اتجاه عكس ما يرغب، بل يلوي عنق الحقيقة بإدخال مفردات لغوية جديدة ليس لها أصول عربية، ثم يعتمد عليها في تفسير النصوص الإسلامية ليصل إلىٰ غرضه.

وكان واضحاً للغاية حينما ركب موج المستشرقين المعادين للإسلام، واعتمد علىٰ نظرياتهم في تناول النص الإسلامي، كما أنه يسعىٰ أيضاً إلىٰ إخراج اللغة العربية من معانيها الحقيقية، ليتمكن من الوصول إلىٰ تحطيم النص القرآني نفسه. وهو لا يكتفي بذٰلك بل يصل إلىٰ فرض جيب آخر حيث يشير إلىٰ أن دور الرسول ﷺ ليس أكثر من مجرد ناقل لكلام الله ليصل إلىٰ إلغاء دور الرسول ﷺ في مهمة التبيين التي أوكلها الله ﷻ إليه في قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [النحل: ٦٤].

وجاء في كتاب الأستاذ عمر عبد الله أيضاً حوار مع أحد هٰؤلاء في كتاب له بعنوان «نقد النص»، حيث قال الأستاذ في رده عليه: إن هٰذا المنهج الجديد في قراءة النصوص يجب أن نصون منه القرآن الكريم والسُّنَّة، فلا يمكن أن يستوي الأمر في تناول نصوص الوحي ونصوص الإنسان الذي درج تلامذة الفلاسفة المعاصرين علىٰ محاولة تطبيق نظريات النقد الذي يظن أغلبهم أنها حديثة خصوصاً فيما يتعلق بالدلالة. وتأثروا تأثراً شديداً بـ فوكو وهدجر، وذهبوا إلىٰ أن النص كائن منفصل عن قائله، وأن القراءة الإبداعية للنص هي إبداع ثاني للنص، إذ قد تقرأ ما لم يقله النص....... ويقول صاحب «نقد النص»: (لا ينبغي الوثوق في الكلام ثقة مفرطة فالخطاب

حجاب). فهل ينطبق هـٰذا علىٰ كلام الله سبحانه وتعالى؟ فإن مقتضاه أن يتعبدنا الله سبحانه وتعالى بالحجب. فأين التكليف إذن؟ وأين وصف الله لكلامه بأنه كلام عربي مبين؟ وأين تكليف الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبيّن لنا؟ وأعجب العجب عبارته التالية: (بل؛ لأن النص لا ينص بطبيعته عن المراد، ولأن الدال لا يدل مباشرة علىٰ المدلول هـٰذا هو سر النص أن له صحته وفزاعاته، وله زلاته وأغراضه، وله ظلاله وأصداؤه فهو لا يأتمر بأمر المدلول، ولا هو مجرد خادم للمعنىٰ ومن هنا يتصف النص بالخداع والمخاتلة ويمارس آلياته في الحجب والمحو أو في الكبت والاستعباد وباختصار للنص ألاعيبه السرية وأداءاته الحقة، وهو ما يمكن تسميته: استراتيجية الحجب).

هـٰذه بعض ألاعيب العلمانيين الذين يحاربون الإسلام بطرق مختلفة. فلنكن علىٰ يقظة منهم. وصدق الله إذ يقول: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الجاثية].

سورة محمد

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾.

الإسلام هو دين شامل، يؤمن به المجتمع المسلم، وتمثل تشريعاته ومبادؤه وأخلاقياته وقيمه مصدراً لبناء الشخصية والأسرة في المجتمع.

هٰذه العبارة هل يمكن أن تثير الاحتجاج والاستنكار والاعتراض من قبل أي مسلم يؤمن بالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً؟

لٰكننا اليوم نجد طوائف ممن ينتسب إلىٰ الإسلام ويتسمىٰ بأسماء المسلمين، من يستنكر ويعترض علىٰ مثل ذٰلك.

إن أمثال هٰؤلاء يعملون بكل جهدهم علىٰ إبعاد الإسلام من حياة المسلمين، وحصره في دور العبادة. وأما أن يبني أسرة صالحة يقوم عليها المجتمع المسلم، أو يحدد طريق مسار المرأة المسلمة في هٰذه الحياة وعلاقتها بالآخرين، فهٰذا لا دخل للدين فيه عندهم.

إن هٰؤلاء يجهلون أو يتجاهلون أن الله تعالىٰ قد

خص الأسرة والمرأة في القرآن ببيان أحكامها مفصلة أكثر من أي أحكام أخرىٰ تتعلق بالعبادات والمعاملات، فالنصوص في الكتاب والسُّنَّة التي تتعلق بالأسرة من الكثرة بحيث لا تخفىٰ علىٰ أحد. حتىٰ أن الدول العربية التي أخذت بالقوانين الوضعية استثنت أحكام الأسرة في الجملة، فأبقت أحكامها مستمدة من الشريعة الإسلامية.

إن الذي يرفض تشريعات الإسلام ومبادئه وأخلاقياته وقيمه، لا ريب من أنه يريد إغراق المجتمع في الفساد والانحلال وإطلاق العنان للشهوات.

فالاعتقاد بعدم شمولية الإسلام، معنىٰ ذٰلك أنك تعتقد أن هدىٰ غير الإسلام أكمل من هديه، وأن حكم غيره أحسن من حكمه، وهٰذا من أعظم نواقض الإسلام. قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، وقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

كما أن المطالبة بإقامة مجتمع مدني يسود فيه القانون بدلاً عن النظام الإسلامي، إنما هو رفض وكراهية لما أنزله الله. فإن مثل هٰذه المطالبة لا يُتصور صدورها من مسلم أبداً. فهي لا تصدر إلا من كافر يكره حكم الله وشرعه. وصدق الله إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد].

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمد]

في ندوة الانتفاضة التي عقدت في صنعاء، وحضرها أدباء وشعراء وكتّاب وفنانون من أكثر البلاد العربية، جرت مناقشة حول الصياغة لبيان المؤتمر، ومن بين الاقتراحات التي عُرضت اقتراح بتصدير البيان بالبسملة وبآية قرآنية، مما يحث النفس علىٰ الجهاد والاستشهاد. فما إن عُرض هـٰذا الاقتراح إلا وانبرىٰ لمعارضته بعض الأدباء والشعراء بعصبية وردة فعل عنيفة، مما أثار الاستغراب من جانب أكثر الحاضرين. وكان من بين المعترضين علىٰ البسملة والآية القرآنية شاعر مصري كبير، حيث قال: إن وضع بعض عبارات التراث للتبريك لا محل له، خصوصاً وأن البيان يخاطب الجميع من مسلمين ومسيحيين. وقال أديب مغربي من المعارضين للبسملة والآية القرآنية: إن في ذٰلك تطاول علىٰ روح الانتفاضة التي لم تنسب نفسها إلىٰ دين معين. وقال ثالث لبناني: ماذا يقول عنا الغرب إذا وضعنا البسملة والآية في صدارة البيان؟

يا لله العجب، كل الناس تعرف أن الانتفاضة إنما

انطلقت من المساجد بالتكبير والتهليل وآيات القرآن، ولٰكن هٰؤلاء الذين يناضلون في الفنادق بالبيانات والأشعار والمقالات في الصحف استكثروا في بيانهم أن يصدِّروه ببسم الله الرحمٰن الرحيم، مع أنهم سواء كتبوا ذٰلك أو لم يكتبوه فإن بيانهم لن يقدم ولن يؤخر شيئاً.

إن جماهير المسلمين الذين يتشوقون للمشاركة في الجهاد من أجل فلسطين لن يقبلوا عزل الإسلام عن المعركة. والواقع المشاهد أن الإسلام هو الذي يعطي القوة الآن للمجاهدين.

إننا لن نحرر فلسطين إن شاء الله إلا إذا توحدت كلمتنا تحت راية (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله)، وأعددنا لذٰلك ما استطعنا من قوة كما أمرنا الله، ثم توكلنا عليه. فلن يصلح أمر هٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقترب من بيت المقدس يوم الفتح الأول: إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله[1].

ألم يعلم هٰؤلاء أن صلاح الدين الأيوبي لم يستطع أن يستعيد القدس؛ إلا بتوحيد المنهج والثقافة علىٰ أساس عقيدة الإسلام. وقد جرب العرب القتال تحت رايات

---

(١) راجع: «البداية والنهاية» (٧/ ٧٠).

مختلفة ففشلوا وانهزموا، أفلا يجرِّبون الآن القتال تحت راية الإسلام؟

إن الذين يعتقدون أن العرب يستطيعون أن يطردوا اليهود من فلسطين بغير العقيدة الإسلامية واهمون. واليهود وأنصارهم في الغرب هم الذين يريدون أن يبعدوا الإسلام عن المعركة.

ولا أدري لماذا يخجل بعض المسلمين من إعلان العقيدة الدينية، ولا يخجل اليهود عندما يعلنون قيام دولتهم باسم ديني وهي دولة إسرائيل؟

البعض يقول: إننا نريد أن نقنع الغرب المتحضر بعدم ذكر ما يمت إلىٰ الدين بصلة. ولا يسأل هٰؤلاء أنفسهم كيف اقتنع الغرب الرأسمالي والشيوعي بقيام دولة إسرائيل باسم الدين؟

إن كتابة البسملة في بداية الكتابة ليست واجباً في شرع الإسلام، وإنما هو أمر مندوب إليه، يقولها أو يكتبها المسلم رجاء التوفيق من الله في أعماله وأقواله. ولٰكن الإصرار علىٰ عدم ذكر البسملة والآية من جانب بعض الناس ممن يدّعون ظاهراً الإسلام مع أن ميولهم معروفة، أمر يستحق النظر والوقوف أمامه، ويجعل التصدي لهم أمراً واجباً.

إننا ننظر إلىٰ خلفيات تلك المعارضة للبسملة

والآية، علىٰ أنها حقد دفين علىٰ الإسلام، وعلىٰ كل من يتخذ الإسلام عقيدة ومنهجاً في حياته.

إن هـٰؤلاء حينما عارضوا كتابة اسم الله علىٰ البيان، ولم يريدوا أن يصدروا البيان ببسم الله الرحمٰن الرحيم، ولا أن تذكر آية من القرآن، إنما أراد الله بموقفهم هـٰذا أن يكشفهم، وأن يظهر ما في القلوب مما يجري علىٰ اللسان مما قد يعتبر من فلتاتها لعامة الأمة حتىٰ يأخذوا منهم حذرهم. وصدق الله القائل في محكم تنزيله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد].

سورة الحجرات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾.

بعض الناس لا همّ له إلا إفساد العلاقات بين الإخوة عن طريق الغيبة والنميمة والسعاية لإلحاق الأذىٰ بالآخرين، بنقل الكلام الذي يسبب البغضاء والإحن بين الناس، فيقول لزيد: إن عمراً قال فيك كذا، ويقول لعمرو: إن زيداً قال فيك كذا، بقصد إثارة الفتنة والخلاف بين الاثنين، أو إلحاق الضرر بأحدهما بسبب الحقد والكراهية له.

وقد قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»[1]. والقتات هو: النمام الذي يسعىٰ بين الناس بنقل كلامهم وإفشاء سرهم، وهٰذا من أعظم الجرائم وهو يشمل الخيانة والغيبة والنميمة.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٠٩)، ومسلم برقم (٣٠٤)، وغيرهما.

والذي يحيِّر العقل أن بعض هٰؤلاء الساعين بالفتنة بين الناس والظانين بالناس الظنون يتظاهرون بالتدين، وهم لا شغل لهم إلا قال فلان وقال فلان، فيثيرون الخلافات بين الناس بدون سبب، وكأنهم لم يقرأوا قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

وقول رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً»[1].

قال القرطبي: قال علماؤنا: فالظن هنا ـ أي: في الحديث ـ وفي الآية هو التهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ولم يظهر عليه ما يقتضي ذٰلك. ودليل كون الظن هنا بمعنىٰ التهمة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾، وذٰلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذٰلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧١٩)، ومسلم برقم (٦٧٠١) واللفظ له، وغيرهما.

من تلك التهمة. فنهىٰ النبي ﷺ عن ذٰلك. وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب، وذٰلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والعلاج، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث[1].
فالذي يظن بالمؤمن ظن السوء من غير مسوِّغ فهو من القوم البور الذين قال الله فيهم: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢][2].

وأما الغيبة فهي أن تذكر الرجل بما فيه. فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[3].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).
(٢) والبور هو الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه. «الصحاح في اللغة» للجوهري (٢/ ٥٩٧).
(٣) رواه مسلم برقم (٦٧٥٨)، وأحمد في «المسند» برقم (٨٩٧٣)، وغيرهما.

وقال القرطبي: قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله، الغيبة والإفك والبهتان. فالغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه. وأما الإفك بأن تقول فيه ما بلغك عنه. وأما البهتان بأن تقول فيه ما ليس فيه.

وقد مثل الله الغيبة بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. وقال ابن عباس: إنما ضرب الله هٰذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس. وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، كذٰلك يجب أن يمتنع من غيبته حيّاً. واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة؛ لأن عادة العرب بذٰلك جارية قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا[(١)]

فالغيبة يستخف الناس بها، وهي من كبائر الذنوب والآثام، ولا خلاف بين العلماء في ذٰلك. والإنسان إذا اغتاب أحداً عليه أن يتوب إلىٰ الله ﷻ. لٰكن هل يستحل المغتاب؟ وهنا اختلف العلماء، فقالت فرقة: ليس عليه استحلاله وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه. وحجتهم في ذٰلك أنه لم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه،

---

(١) البيت للمقنع الكندي كما في «جمهرة الأمثال» لأبي الهلال العسكري (٢/ ٢٠٦)، وغيره.

فليس ذٰلك بمظلمة يستحلها منه، وإنما المظلمة ما يكون منه البدل والعوض في المال والبدن. وقالت فرقة: هي مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه. واحتجوا بالأثر: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته[1]. وقال فرقة: هي مظلمة وعليه الاستحلال منها. وحجتهم قول الرسول ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[2]. والآثار عن النبي ﷺ دلّت أنها مظلمة يجب علىٰ المغتاب استحلالها[3].

وهناك أمر ينبغي التنبه له وهو الخلط بين النصيحة والغيبة والتعيير، مما دعا الحافظ ابن رجب الحنبلي أن يُؤلف رسالة سماها «الفرق بين النصيحة والتعيير». ومما قاله فيها ما ملخصه: اعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرم إذا كان المقصود منه مجرد الذم للعيب والنقص، أما إذا

(١) ضعفه الإمام أحمد كما في «شعب الإيمان» للبيهقي (٥/ ٣١٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٦١٦٩)، وغيره.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٨) بتصرف. وللإمام ابن القيم غير هذا الاختيار، حيث قال: والصحيح أنه لا يحتاج إلىٰ إعلامه، بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. راجع: «الوابل الصيب» (٢١٩).

كان فيه مصلحة لعامة المسلمين أو خاصة لبعضهم وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل مندوب إليه. وقد قرر علماء الحديث هٰذا في كتبهم في الجرح والتعديل، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة.

وقال: وقد كان بعض السلف إذا بلغه قول ينكره علىٰ قائله يقول: كذب فلان. ومن هٰذا قول النبي ﷺ: «كذب أبو السنابل»[١]، لما بلغه أنه أفتىٰ أن المتوفىٰ عنها زوجها إذا كانت حاملاً لا تحل بوضع الحمل حتىٰ تمضي عليها بأربعة أشهر وعشراً. وقد بالغ الأئمة الورعون في إنكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء وردها أبلغ الرد، كما كان الإمام أحمد ينكر علىٰ أبي ثور وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها ويبالغ في ردها عليهم، هٰذا كله في حكم الظاهر. وأما في باطن الأمر فإن كان مقصوده في ذٰلك مجرد تبيين الحق، ولئلا يغتر الناس بمقالات من أخطأ في مقالاته فلا ريب أنه مثاب علىٰ قصده، ودخل بفعله هٰذا بهٰذه النية في النصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم. وسواء كان الذي بيّن الخطأ صغيراً أم كبيراً فله

---

(١) رواه الشافعي في «مسنده» برقم (١٢٠٨)، وأحمد في «المسند» برقم (٤٢٧٣)، وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧٤).

أسوة بمن رد من العلماء مقالات ابن عباس التي يشذ فيها، وأُنكرت عليه من العلماء مثل المتعة والصرف والعمرتين وغير ذٰلك. ومن ردّ علىٰ سعيد بن المسيب في إباحته المطلقة ثلاثاً بمجرد العقد وغير ذٰلك مما يخالف السُّنَّة الصريحة. ورد علىٰ الحسن قوله في ترك الإحداد عن المتوفىٰ عنها زوجها. وعلىٰ عطاء في إباحته إعادة الفروج. وعلىٰ طاوس قوله في مسائل كثيرة. وعلىٰ غير هٰؤلاء ممن أجمع المسلمون علىٰ هدايتهم ودرايتهم ومحبتهم والثناء عليهم.

وقال: وأما إذا كان مرادُ الرادِّ بذٰلك إظهارَ عيب من ردَّ عليه وتنقصَه وتبيينَ جهله وقصوره في العلم ونحو ذٰلك كان محرماً.

وعلىٰ كلٍ يجب ألا يكون هناك تتبع للعورات، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه ولو في جوف بيته، فقد قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[1].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» برقم (١٩٧٩١)، وأبو داود برقم (٤٨٨٢)، غيرهما، وقال الألباني في «سنن أبي داود»: حسن صحيح.

فالذي يسعىٰ بين الناس بالفتنة ويؤذي المسلمين بنقل الأخبار الكاذبة، لا بد وأن ينتقم الله منه. والذي يستمع إلىٰ الأنباء الكاذبة ويصدقها وعلىٰ أساسها يبني مواقفه يندم يوم لا ينفع الندم. وصدق الله إذ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات].

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات]

المسلم الحقيقي هو الذي يحسن إلىٰ أخيه المسلم، ولا يتتبع أخطاءه، ويحفظ لسانه من الطعن فيه، ويحسن الظن به، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات].

بل عليه أن يقف سداً منيعاً يذب ويدافع عن عرض أخيه وسمعته، لا سيما إذا ذكر أمامه بما يكره، لا يؤول كلام أخيه إلا بخير ما دام يجد في الكلام مجالاً للتأويل الحسن، ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرّاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلاً[1]. قال ابن رجب في «الفرق بين النصيحة والتعيير»: فإذا أخبر أحد أخاه بعيب ليجتنبه كان ذٰلك حسناً لمن أُخبر بعيب من عيوبه أن يعتذر منها إن كان له منها عذر، وإن كان ذٰلك علىٰ وجه التوبيخ بالذنب فهو

(١) «أمالي المحاملي» (٣٩٥)، وغيره.

قبح مذموم. وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر. فهٰذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح والتعيير، وهو أن النصح يقترن به الستر والتعيير يقترن به الإعلان.

فالنصح في العلن قد يدخل في إشاعة الفاحشة في حق المؤمنين، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور].

قال الإمام الشافعي:

تعمدني بنصحك في انفرادي	وجنبني النصيحة في الجماعه
فإن النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضىٰ استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي	فلا تغضب إذا لم تُعط طاعه

ومع الأسف في هٰذا العصر ترىٰ الشماتة والأحقاد والضغائن والفرقة والشقاق، وقلّ الحب في الله الذي أمر به القرآن، وكذا التناصر والولاء بين المؤمنين والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكذا رسوله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]، وقوله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (١٧٩)، وغيرهما.

وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَىٰ هَاهُنَا ـ وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ[1]». والأدلة في ذٰلك كثيرة ومتوافرة. وهٰذه الأخوة ليست تفضلاً وامتناناً من الأخ علىٰ أخيه، بل هي قاعدة أساسية من قواعد الإيمان. فينبغي للمؤمن مراجعة نفسه تجاه إخوانه من المؤمنين وأن يتذكر رابطة الأخوة الإيمانية وما لها من حقوق.

(١) رواه البخاري برقم (٥٧١٨)، ومسلم برقم (٦٧٠٦) واللفظ له، وغيرهما.

سورة المجادلة

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [١١].

قال الإمام القرطبي في تفسيره للدرجات في هـٰذه الآية: أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا. يرفع المؤمن علىٰ من ليس بمؤمن، والعالم علىٰ من ليس بعالم. وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هـٰذه الآية. والمعنىٰ أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم علىٰ الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم ﴿دَرَجَٰتٖۚ﴾؛ أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به. وقيل: كان أهل الغنىٰ يكرهون أن يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون إلىٰ مجلس النبي ﷺ فالخطاب لهم. ورأىٰ عليه الصلاة والسلام رجلاً من الأغنياء يقبض ثوبه نفوراً من بعض الفقراء أراد أن يجلس إليه فقال: يا فلان أخشيت أن يتعدىٰ غناك إليه أو فقره إليك[1]؟ وبيّن في هـٰذه الآية أن الرفعة عند الله تعالىٰ

(١) رواه أحمد في كتاب «الزهد» (٣٨) مرسلاً عن سعيد بن أيمن. ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن عباد بن كثير مرسلاً =

بالإيمان والعلم، لا بالسبق إلىٰ صدر المجالس . وقيل: أراد بالذين أوتوا العلم الذين قرأوا القرآن. وقال يحيىٰ بن يحيىٰ عن مالك: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ الصحابة، ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ يرفع الله إليه بها العالم والطالب للحق. قلت ـ أي: القرطبي ـ: والعموم أوقع في المسألة وأولىٰ بمعنىٰ الآية، فيرفع المؤمن بإيمانه أولاً، ثم بعلمه ثانياً[(١)].

فيجب علىٰ المسلم أن يبذل قصارىٰ جهده في طلب العلم من أجل خدمة دينه ووطنه وأمته. وأن يبتعد عن الكبر واحتقار الآخرين حتىٰ يفوز في دنياه وأخراه. قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص]. وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان]. وقال ﷺ: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[(٢)].

= (٨/ ٥٣). وعباد بن كثير تكلم فيه البخاري وغيره، وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (١٧/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٦٧٥٧)، والترمذي برقم (٢٠٢٩).

سورة الفجر

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾.

تهديد رباني عنيف، فهو بالمرصاد للطغاة والظالمين الذين يتجبرون في الأرض ويعثون فيها الفساد.

حبس الحجاج بن يوسف رجلاً ظلماً، فكتب إليه من السجن كتاباً مكتوباً فيه: قد مضىٰ من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلىٰ بيِّنة. وكتب هٰذه الأبيات:

ستعلم يا نؤوم إذا التقينا غداً عند الإلٰه من الظلوم
أما والله إن الظلم لؤم وما زال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن أناس أداموه وينقطع النعيم
إلىٰ ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم[1]

(١) القصة ذكرها صاحب «المستطرف في كل فن مستظرف» (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) بدون أن يسندها. لٰكن في «شعب البيهقي» (٦/ ٥٦) ذكر نحو هٰذه القصة بأن يحيىٰ البرمكي كتب من سجنه للرشيد ونسب نحو الأبيات المذكورة إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونسب بعضهم نحوها إلىٰ أبي العتاهية كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٢٦٣ ـ ٢٣٧).

ومما يذكر أن الحجاج قتل الرجل الصالح سعيد بن جبير في شعبان، وما إن دخل رمضان حتىٰ هلك الحجاج[1]، ترىٰ هل ظن الحجاج أنه سيلحق بسعيد بن جبير بهٰذه السرعة؟

إن دعوة المظلوم مستجابة ولو كانت من كافر أو فاسق، كما جاء عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»[2].

فكثير من الظلمة لا يفكرون أن ظلمهم وبغيهم سهام ترتد عليهم، وذٰلك عندما يتوجه المظلومون إلىٰ رب السماوات والأرض، رافعين أكفهم يدعون علىٰ ظالميهم، يدعونه سبحانه ويستنصرونه علىٰ عدوهم الظالم:

بغي وللبغي سهام تنتظر
أنفذ في الأحشاء من وخز الإبر
سهام أيدي القانتين في السحر[3].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢)، و«البداية والنهاية» (٩/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٢٥٧١)، وغيره بإسناد حسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (٦٧٦).

(٣) هٰذه الأبيات لا يعرف قائلها، ولٰكن وجدها القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في رقعة مكتوبة في مصلاه. «المستطرف في كل فن مستظرف»: (١/ ٢٣٦)، وغيره.

وبعضهم يهزأ بالدعاء، ويظن أنه من الخرافات، خاصة إذا رأىٰ أن أيامه طالت ولم يصبه جزاء ظلمه، ولا يدري هٰذا المسكين أنه يستدرج من حيث لا يعلم. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]»[1].

وقال الشافعي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولٰكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي ... ويرسلها إذا نفذ القضاء

فالظلم عاقبته وخيمة والله رقيب الظالمين وحسيبهم. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم].

وينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٠٩)، ومسلم برقم (٦٧٤٦)، وغيرهما.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم مَرْتَعُهُ يفضي إلىٰ الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

والإنسان اليوم في هٰذه الحياة يظلم من أجل عرض قليل من الدنيا، ولٰكنه سيأتي اليوم الذي يود أن يفدي نفسه بما في الأرض جميعاً لو كان يملك ذٰلك. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس].

المظلومون قد يتناسون آلامهم أو بعض آلامهم لكثرة من يشاركهم في مصائبهم؛ لأن مصائب الدنيا إذا عمت صارت مسلاة، فيتأسىٰ المصابون ببعضهم كما قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي علىٰ إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولٰكن أعزي النفس عنه بالتأسي

ولٰكن الظالمين لا يجدون روح التأسي لتخفيف آلام العذاب الذي ينزل بهم انتقاماً للمظلومين يوم القيامة. قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف]. فهم يفقدون شعور التأسي ومشاركة الغير لهم في مصائبهم. إنها عزلة خانقة حتىٰ في العذاب، وما أشد ذٰلك علىٰ النفس!. فعذابه سبحانه لا يكون كعذاب الآخرين. قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر].

بل قد يكون ذٰلك في الدنيا عندما يذهب سلطانه ومنصبه، فيصبح في عزلة خانقة ووحدة قاتلة، فلا ترىٰ من يسلم عليه ولا من يعطف عليه ولا من يؤنسه، فيعيش ملوماً مدحوراً. وما ذٰلك إلا صورة مصغرة مما سيقابله يوم القيامة. قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]. والأصدقاء والأصحاب عندما تراهم اليوم ينفضون عن أصدقائهم وأصحابهم ستشتد بينهم العداوة يومئذ. قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]. وفي ذٰلك اليوم يتحسر الظالم الصغير أنه أطاع الظالم الكبير، ويتبرأ كل من صاحبه، ويلعن بعضهم بعضاً. قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وفي الأخير نقول للمظلوم: الّا ييأس إذا لم يجد من ينصره في هٰذه الدنيا، فإن دعوته سترفع فوق الغمام، وسينصره الله ولو بعد حين[1].

ونقول للظالمين الذين يصمون آذانهم عن صراخ المظلومين، ويشمخون بأنوفهم علىٰ الناس، ويدوسون علىٰ الحق بأقدامهم عتواً وغروراً: إننا نذكركم بقول رب العزة فيمن سبق من الظالمين في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر].

---

(١) كما رواه أحمد في «المسند» برقم (٨٠٣٠)، وغيره بإسناد صحيح بطرقه وشواهده، كما قال الأرناؤوط.

مراجع

* **القرآن الكريم.**

١ ـ **أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة**، تأليف: المحامي الدكتور أبو حسان.

٢ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣ ـ **أمالي المحاملي**، للحسين بن إسماعيل المحاملي. دار النشر: المكتبة الإسلامية: عمان ـ الأردن، دار ابن القيم: الدمام، ١٤١٢هـ ـ ١٤١٢هـ، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: د. إبراهيم القيسي.

٤ ـ **البداية والنهاية**، للإمام ابن كثير. دار إحياء التراث العربي، حققه ودقق أصوله وعلّق حواشيه: علي شيري.

٥ ـ **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة**. الناشر: مركز خدمة السُّنَّة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري.

٦ ـ **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧ ـ **التاريخ الكبير**، للإمام البخاري. دار النشر: دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

٨ ـ **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٩ ـ **تفسير القرآن**، لابن أبي حاتم الرازي. دار النشر: المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

١٠ ـ **التفسير الكبير** أو **مفاتيح الغيب**، لفخر الدين الرازي. دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ **التفسير الواضح**، للدكتور محمد محمود حجازي. مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الرابعة.

١٢ ـ **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، للحافظ ابن حجر العسقلاني. الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٣ ـ **تهذيب الكمال**، للإمام المزي. دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

١٤ ـ **التوابين**، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

١٥ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، لابن سعدي، تحيقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦ ـ **الثقات**، لابن حبان البستي. دار النشر: دار الفكر ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
١٧ ـ **جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر الطبري. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
١٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي. طبعه: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٢٠ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي. الناشر: دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.
٢١ ـ **الدراية في تخريج أحاديث الهداية**، للحافظ ابن حجر العسقلاني. الناشر: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.
٢٢ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي أبو الفضل. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣ ـ **السلسلة الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
٢٤ ـ **السلسلة الضعيفة**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
٢٥ ـ **سنن ابن ماجه**، لابن ماجه القزويني. الناشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٦ ـ **سنن أبي داود**. الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مع تعليقات كمال يوسف الحوت.

٢٧ ـ **سنن الترمذي**، لأبي عيسىٰ الترمذي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٨ ـ **سنن الدارقطني**، للإمام الدارقطني. الناشر: دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٢٩ ـ **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، لأبي عمرو الداني. الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ، تحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.

٣٠ ـ **السيرة النبوية**، لابن هشام. دار النشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٣١ ـ **السيرة النبوية**، للامام ابن كثير. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧١م، تحقيق: مصطفىٰ عبد الواحد.

٣٢ ـ **شعب الإيمان**، للبيهقي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٣٣ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ**، للقاضي عياض اليحصبي. مذيلاً بالحاشية المسماة **مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء** للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنىٰ.

٣٤ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الأنصاري. القاهرة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار.

٣٥ ـ **صحيح البخاري**، للإمام البخاري. الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا.

٣٦ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

٣٧ ـ **صحيح سنن ابن ماجه**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٨ ـ **صحيح سنن أبو داود**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٩ ـ **صحيح سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٤٠ ـ **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. الناشر: دار الجيل، بيروت ـ دار الأفاق الجديدة، بيروت.

٤١ ـ **صفة الغرباء**، لسلمان بن فهد العودة. الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٢ ـ **الضعفاء والمتروكين**، للإمام النسائي. دار النشر: دار الوعي، حلب ١٣٩٦هـ، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
٤٣ ـ **ضعيف سنن ابن ماجه**، لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٤٤ ـ **ضعيف سنن أبو داود**، لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٤٥ ـ **ضعيف سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٤٦ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني. الناشر: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٧ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري. إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر.
٤٨ ـ **الفقه الإسلامي وأدلته**، تأليف: أ. د. وهبة الزحيلي. الناشر: دار الفكر، دمشق الطبعة العاشرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٤٩ ـ **في ظلال القرآن**، لسيد قطب. طبعة: دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.
٥٠ ـ **كتاب جمهرة الأمثال**، لأبي هلال العسكري. الناشر: دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش.

٥١ ـ **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث،** لإبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبو الوفا الحلبي الطرابلسي. دار النشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: صبحي السامرائي.

٥٢ ـ **لسان الميزان،** لابن حجر العسقلاني. دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. الطبعة الثالثة، تحقيق: دائرة المعرف النظامية الهند.

٥٣ ـ **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،** لابن حبان البستي. دار النشر: دار الوعي، حلب ١٣٩٦هـ، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

٥٤ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** لابن عطية الأندلسي. دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. الطبعة الاولىٰ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٥٥ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** للإمام ابن القيم الجوزية. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٥٦ ـ **المرأة في التصور الإسلامي،** لعبد المتعال محمد الجبري.

٥٧ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف،** لشهاب الدين الأبشيهي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة.

٥٨ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، للإمام أحمد بن حنبل.
الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٥٩ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، للإمام أحمد بن حنبل.
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون.
٦٠ ـ **مسند الشافعي**، للإمام محمد بن إدريس الشافعي.
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٦١ ـ **المعجم الكبير**، للطبراني. الناشر: مكتبة العلوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٦٢ ـ **المعجم في مشتبه أسامي المحدثين**، لعبيد الله بن عبد الله بن أحمد الهروي أبو الفضل. دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض ١٤١١هـ، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: نظر محمد الفاريابي.
٦٣ ـ **المفصل في أحكام المرأة**، للدكتور عبد الكريم زيدان.
مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٦٤ ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب** للإمام ابن القيم الجوزية. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

سورة المائدة

سورة الأعراف

سورة الإسراء

سورة الأنبياء

سورة النور

سورة العنكبوت

سورة ص

سورة الزمر

طُبع بإشراف
المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١ ـ هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)



التعريف بالمؤلف

- هو القاضي عبد القادر بن محمد العماري.
- من مواليد سنة ١٩٣٥م.
- تلقىٰ العلوم الشرعية والقانونية عن جماعة من العلماء والمتخصصين في الشريعة والقانون.
- درس في كلية الحقوق ـ قسم الشريعة ـ بجامعة الخرطوم، وتخرج منها سنة ١٩٥٧م.
- عمل قاضياً في المحاكم الشرعية في سنة ١٩٦٩م بدولة قطر، وتدرج بالمناصب إلىٰ أن وصل إلىٰ نائب رئيس محكمة الاستئناف بالمحاكم الشرعية، وأمضىٰ أكثر من ثلاثة عقود في القضاء الشرعي بقطر.
- شارك في مجموعة من المؤتمرات والمجامع الفقهية ومنها مجمع الفقه الإسلامي بجدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- يحمل عضوية في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- يشغل عضواً في هيئة الرقابة الشرعية بمصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي.
- له عدة مقالات نشرت في الجرائد القطرية، ومجموعة من الجرائد والمجلات العربية.

له مجموعةٌ من المؤلفات المطبوعة:

١ ـ **حوادث السير** (بحث قدمه في الدورة الثامنة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، قامت بطباعته جمعية قطر الخيرية، طبعة: مطابع الدوحة الحديثة المحدودة).

٢ ـ **وسقطت الماركسية** (طبعة: دار الثقافة الدوحة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣ ـ **وأحل الله البيع وحرم الربا** (بحوث في قضايا مصرفية، قام بطباعته بنك قطر الدولي الإسلامي، طبعة: مطابع الدوحة الحديثة المحدودة ٢٠٠٥م).

٤ ـ **الحق الإنساني والعنف الدولي** (بحث قدمه في الدورة الرابعة عشرة ٢٠٠٣/١/١١ ـ ٢٠٠٣/١/١٦م، لمجلس مجمع الفقه الإسلامي، طبعته: جمعية الهلال الأحمر القطري، ضمن سلسلة: نحو ثقافة إنسانية: ٥، الطبعة الأولىٰ).

٥ ـ **لن يصلح أمر هـٰذه الأمة إلا بما صلح به أولها** (طبعة: مطابع قطر الوطنية).

٦ ـ **بيع الوفاء والتورق والعينة** (قام بطباعته مصرف قطر الإسلامي، طبعة: مطابع الدوحة الحديثة المحدودة).

٧ ـ **من أجل الإسلام** (ردود علىٰ كتابات عدد من المؤلفين والكتَّاب، الناشر: دار الضياء الأردن ـ عمَّان).

٨ ـ **منحة الرحمٰن في شهر رمضان** (طبعة: دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

٩ ـ **المفيد في الزواج السعيد** (طبعة: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).

١٠ ـ **شقائق الرجال** (طبعة: دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).